



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أمّ القري



بحوث

مُلَيْقِي الرَّبِّ بِرَبِّ الْقُرْآنِ مَسَاهِجٌ وَتَجَارِبٌ

لعام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تربية
الصحابة على تدبر القرآن

إعداد

د. عمر بن عبدالله بن محمد المقبل

www.msky.ws موقع سماء العقول

www.dawahmemo.com المفكرة الدعوية

المحور الثاني

هذي النبي صلى الله عليه وسلم في تربية
الصحابة على تدبر القرآن

إعداد

د. عمر بن عبدالله بن محمد المقبل

الأستاذ المشارك في كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:
فإن من البشائر التي تلوح في الأفق، هذه العودة المباركة للعناية بالدراسات القرآنية
عودةً مقترنةً بالتأصيل العلمي لموضوعاتها العلمية والتربوية، والتي منها هذا الملتقى المبارك
- ملتقى التربية بالقرآن الكريم (مناهج وتجارب)، الذي ينعقد في رحاب جامعة أم القرى،
بمكة شرفها الله، والذي يسرني أن أشارك فيه بهذه الورقة، التي عنوانها: "هدي النبي ﷺ
في تربية الصحابة على تدبر القرآن"، في مقدمة، وتمهيد، وفصلين وخاتمة، وفق الخطة
التالية:

المقدمة.

التمهيد، وفيه: التعريف بمفردات البحث، وإشارة موجزة إلى فضل التدبر في نصوص
الوحيين.

الفصل الأول: الوسائل العلمية والعملية التي طبقها النبي ﷺ للتربية على التدبر،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الوسائل العلمية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التدبر، والترهيب من الغفلة عنه.

المطلب الثاني: التنبيه على فضائل القرآن، والسور، والآيات.

المطلب الثالث: حثه على مجالس مدارس القرآن.

المطلب الرابع: إزالة الإشكالات.

المطلب الخامس: ثناؤه على الذين يعملون بالقرآن.

المبحث الثاني: الوسائل العملية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التغني به.

المطلب الثاني: القراءة بالترتيل.

المطلب الثالث: تكرار الآية التي يفتح لها القلب، أو التوقف عندها.

المطلب الرابع: الاستماع للقرآن من الآخرين.

المطلب الخامس: تدبر الآيات التي ختمت بالاستفهام.

الفصل الثاني: معالم المهدي النبوي العامة في التربية على التدبر، وفيه أربعة

مباحث:

المبحث الأول: تحلّقه العمليّ بالقرآن.

المبحث الثاني: رؤية آثار التدبر عليه صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث: تربيته للصحابة على مبدأ: "الإيمان قبل القرآن".

الخاتمة، ثم الفهارس.

وقد حرصتُ في هذا البحث على تحرير القول في الأحاديث المرفوعة والآثار

الموقوفة والمقطوعة التي تحتاج لذلك، فالأحاديث والآثار هي عمدة هذا البحث،

أسأل الله تعالى أن أكون وفقت في الإسهام في تأصيل هذا الموضوع في ضوء السنة

النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

الباحث

التمهيد

يحسن بنا قبل الولوج إلى ثنايا البحث أن أعرف بالتدبر، فأقول:
أصل الكلمة اللغوي لكلمة تدبر، مجله يعود إلى أصل واحد - كما يقول ابن فارس - وهو: "وهو آخر الشيء، وحلّفه خلاف قبّله"^(١)، ويقال: "ودبّر الأمر وتدبّره: نظّر في عاقبته، واستدبره: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره، وعرف الأمر تدبّراً: أي بأخّره، قال جرير:"

ولا تتفون الشرّ حتى يصيبكم ... ولا تعرفون الأمر إلا تدبّراً^(٢)

وقيل: التدبّر: التفكير، أي: تحصيل المعرفة لتحصّل معرفة ثالثة^(٣).

وقد فرّق أبو هلال العسكري بين التدبر والتفكر، فقال: "الفرق بين التفكير والتدبر: أن التدبر: تصرف القلب بالتّظر في العواقب، والتفكر: تصرف القلب بالتّظر في الدلائل"^(٤).

ويضاف أيضاً: أن التفكير عام في الأمور العلمية والمحسوسة الكونية، كما في أواخر آل عمران: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... الْآيَاتِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].
فتبين من هذا العرض الموجز أن التدبر يدور على معنى مؤخّرة الشيء وعاقبته، وكلمات المفسرين لا تكاد تخرج عن هذا، وأقتصر منها على ثلاثة نماذج:
١. قال البغوي: "التدبر: هو النظر في آخر الأمر، ودبر كل شيء آخره"^(٥).

(١) مقاييس اللغة (٣٢٤/٢).

(٢) الحكم والمحيط الأعظم (٣١٣/٩)، والبيت في ديوان جرير: (ص: ١٨٩).

(٣) تاج العروس (٢٦٥/١١).

(٤) الفروق اللغوية للعسكري (٧٥)، وينظر: "مفهوم التفسير والتأويل" للطيار (ص: ١٨٥) وما بعدها.

(٥) تفسير البغوي (٢٥٤/٢).

٢ — وقال ابن عطية : " والتدبر: النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء، هذا كله يقتضيه قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، وهذا أمر بالنظر والاستدلال" (١).

٣ — وقال الخازن : " أصل التدبر: النظر في عواقب الأمور والتفكر في أديارها، ثم استعمل في كل تفكر وتأمل" (٢).

ولم أقف في كلام المتقدمين على من عرّف التدبر على صناعة الحدود (٣)، وإذا أردنا أن نحاول استخراج تعريف للتدبر بالمعنى الاصطلاحي، فيمكن القول: **التدبر: "هو تأمل الآيات للاهتمام بما دلّت عليه علماً أو عملاً"**. ولإيضاح هذا التعريف، يقال: — قولي: "تأمل" (٤) الآيات"، وهذا يعني أن التدبر لا يتأتى في الواضح البين، بل لا بد أن يُسبق بشيء من النظر وإعمال الفكر والعقل؛ لاستنباط المراد.

— قولي: "للاهتمام بما دلّت عليه"؛ لأن هذه هي الغاية من التدبر، ولأن الله تعالى وصف كتابه فقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ولا يتأتى الوصول إلى جميع هذه الهدايات إلا بالتدبر.

— قولي: "علماً أو عملاً"؛ لأن التدبر إذا خلا من إحدى هاتين الثميرتين فهو تدبر ناقص، وإنما عطفْتُ بـ(أو)؛ لأن من الهدايات القرآنية ما يظهر فيه جانب العلم أكثر من ظهور العمل بمعناه الخاص، كالتدبر في الآيات التي تفصّل في النعيم أو العذاب

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٨٣/٢).

(٢) تفسير الخازن (٤٠٢/١).

(٣) وأما قول ابن القيم - رحمه الله - في "مدارج السالكين" (٤٤٩/١): "وأما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر" فإنه لم يذكره على سبيل التعريف، بل التقريب للمعنى.

(٤) التأمل هو: التثبت في النظر، وطول المدة فيه، ينظر: مقاييس اللغة (١٤٠/١)، الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٧٥).

الأخروي، أو بعض الأحكام الفقهية، وكذلك وصف بعض الأمور الكونية (١). والله أعلم.

أما يخص التدبر وفضله، فإن النصوص في ذلك متظاهرة ومتواترة؛ بل لا أعلم . بعد الأمر بالإيمان . أمراً توجه إلى جميع الناس . مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم . مثل الأمر بالتدبر، فإن الله تعالى خاطب به الكفار في مكة فقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا . وفي قراءة: لتدبروا(٢) — آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وهاتان السورتان مكيتان، خوطب بالتدبر المؤمنون والكفار، وفي سورتي النساء ومحمد — وهما مدنيتان — خوطب المنافقون بذلك: ﴿أَفَلَا يَتَذَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَتَذَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] .

وإن أمراً يوجه صراحةً إلى كل أصناف المجتمع -مسلمهم وكافرهم، مؤمنهم ومنافقهم - وتنوع فيه العبارة، وتذكر فيه بعض ثماره: كقوله: ﴿مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا... وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وكذا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، وتذكر معه أسباب الحرمان منه ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ = هو أمر ذو شأن، وخليق بأن يعنى به، وأن للتدبر أثره العظيم في تلقي رسالات الله، والعقل عنه سبحانه، والتحرر من القيود الاجتماعية والنفسية التي حجبت عقول أولئك عن قبول دعوة الحق، والدين الصحيح. وثمة معنى آخر يوجب العناية بالتدبر، وهو أنه لما كانت بعثة الرسل قائمة على إصلاح القلوب، وتعبيدها لخالقها وحده لا شريك له = أمر الناس بالتدبر؛ لأنه "مفتاح

(١) وإن كان ينبغي أن تورث تلك الآيات إجلالاً وتعظيماً لله تعالى، وهذا من أعمال القلوب.

(٢) ينظر: جامع البيان في القراءات السبع (٤/١٥٣٢)، وقد وجه ابن جرير هذه القراءة فقال: "المعنى: لتدبره أنت يا محمد وأتباعك"، تفسير الطبري (٧٩/٢٠).

حياة القلب"^(١)، "ولا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير، فإنه جامعٌ لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والانابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والافعال المذمومة، والتي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها"^(٢).

"والعادة المطردة . التي جبل الله عليها بني آدم . توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم لفظاً ومعنى؛ بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أوكد، فإنه قد عُلِمَ أنه من قرأ كتاباً في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك؛ فإنه لا بد أن يكون راغباً في فهمه وتصور معانيه، فكيف بمن قرءوا كتاب الله تعالى المنزل إليهم؟ الذي به هداهم الله، وبه عزّفهم الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، والرشاد والغي؟! فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات؛ بل إذا سمع المتعلم من العالم حديثاً فإنه يرغب في فهمه؛ فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه؟ بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول ﷺ في تعريفهم معاني القرآن أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه، فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا تحصل المقصود، إذ اللفظ إنما يراد للمعنى"^(٣).

وأما الأحاديث الواردة في فضل التدبر، فإن هذا البحث كلّه في تقرير ذلك صراحةً أو إشارةً، فأكتفي بهذه الإشارة لما سيأتي في مواضعه عن تكرار القول فيه.

(١) حادي الأرواح، لابن القيم (ص: ٦٩).

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/١٨٧).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥٧/٥).

الفصل الأول: الوسائل العلمية والعملية التي طبقها النبي ﷺ للتربية

على التدبير، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الوسائل العلمية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التدبير والترهيب من الغفلة عنه:

سبقت الإشارة قريباً إلى بعض ما ورد من الآيات الواردة في الحث على التدبير، وأما

السنة: فإن الحث على التدبير جاء من جهة المعنى في جملة أحاديث، منها:

أولاً: روى الشيخان من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني

الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت

الماء، فأنبت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله

بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك

ماء ولا تثبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم،

ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

ولا ريب أن التدبير لآيات الله داخل في هذا دخولاً أولياً، إذ لا يمكن لأحد أن

تكتمل آلة الفقه والفهم عنده، دون إعمال آلة التدبير، فالحديث تضمن الثناء على من

فقه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو بالمفهوم متضمن لدم من ترك التدبير، إذ الفهم

والفقه الذي يراد منه الاستنباط والعمل، مقترن بالتدبير وإعمال النظر .

(١) البخاري ح (٧٩)، مسلم ح (٢٢٨٢).

ثانياً: روى ابن ماجه من حديث زياد بن لبيد رضي الله عنه (١)، قال: ذكر النبي ﷺ شيئاً، فقال: «ذاك عند أوانِ ذهابِ العلم»، قلت: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «ثكلتك أمك يا زياد! إن كنت لأراك من أफقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما؟» (٢).

فمنطوق الحديث: هو الذم لترك الفهم والتدبر للقرآن، وذم ترك العمل به، ومفهومه: الحث على ذلك، وهو متفق تماماً مع ما ورد في القرآن عن علماء أهل الكتاب . واليهود خاصة . كما في قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، وهم . كما قال مجاهد: "أناس من يهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله، ويقولون هو من الكتاب، أماني يتمونها" (٣).

وقال ابن جرير: يعني بقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ لا يعلمون ما في الكتاب الذي أنزله الله، ولا يدرون ما أودعه الله من حدوده وأحكامه وفرائضه، كهيئة البهائم (٤).

(١) هو زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر الأنصاري البياضي، شهد بدرًا، وكان عاملاً على حضرموت لما مات النبي ﷺ، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤٨٤/٢)، التقریب: (٢٠٩٧).

(٢) سنن ابن ماجه ح (٤٠٤٨)، وابن أبي شيبة ح (٣٠١٩٩)، والبخاري في "التاريخ الكبير" ٣/٣٤٤، وأعله البخاري بالانقطاع بين سالم بن أبي الجعد وبين زياد رضي الله عنه، وكذا قال الحافظ في "الإصابة" ٢/٥٨٧، والبوصيري في "مصباح الزجاجية" (١٩٤/٤). ويشهد له: حديث عوف بن مالك عند النسائي في "الكبرى" ح (٥٨٧٨)، وأحمد ح (٢٣٩٩٠)، وصححه ابن حبان ح (٤٥٧٢).

وأما قول الطحاوي - في شرح المشكل (٢٨٠/١) - عن حديث زياد: "هذا الحديث من أحسن الأحاديث وأصحها" فإن عنى به السند . وهو الظاهر . فقد تقدّم ما فيه، وإن عنى به المعنى، فهذا باب واسع.

(٣) تفسير الطبري (١٥٧/٢).

(٤) تفسير الطبري (١٥٤/٢). وينظر مقدمة الشنقيطي لأول تفسيره، ففيها كلام نفيس حول هذا المعنى.

ويمكن القول بأن جميع الآيات التي تأمر بالتفكير والنظر، وإعمال العقل، والأمر بالفقه، وذم قلته، وأمثالها= كلها داخلة في هذا المعنى، وهي آيات تتجاوز المثات في كتاب الله.

ثالثاً: روى الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الخوارج: «يتلون كتاب الله رطبا، لا يجاوز حناجرهم»^(١)، وفي معنى هذا تأويلان: الأول: "أي: أنه لم تفقهه قلوبهم ولا انتفعوا بما تلوا منه، ولا لهم فيه حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق، إذ بهما تقطع الحروف. والتأويل الآخر: أنه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا تتقبل"^(٢).

وعلى كلا التأويلين، فهو ذمٌ بالغ لعدم الفهم، وترك التدبر، والاقتصار على التلاوة، التي لم تعصمهم من فعل الموبقات والعظائم. وسيأتي في المطلب الخامس من هذا المبحث مزيد بيان في الكلام على ثناء صلى الله عليه وسلم على الذين يعملون بالقرآن^(٣).

المطلب الثاني: التنبيه على فضائل القرآن، والسور، والآيات :

جبل الله النفوس على الاستجابة للمحفزات، والتأثر الإيجابي بها، ولذا كان من حكمة الله تعالى أن تواترت النصوص من الكتاب والسنة على مبدأ الترغيب والترهيب؛ لما في ذلك من الأثر الحسن في فعل الفضائل، وترك الرذائل.

(١) البخاري ح (٤٣٥١)، مسلم ح (١٠٦٤).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦٠٩/٣).

(٣) ص (١٥).

ومن هذا الباب ما يتصل بفضائل السور والآيات، ففيها لفتٌ لنظر القارئ إلى سبب تفضيل هذه السورة، وتلك الآية؛ لأن التفضيل لا بد أن يكون لمعنى شرعي، يقتضي من القارئ التدبر والتأمل والتفكر في سبب التفضيل، ودلالاته.

فمثلاً: حين يسمع القارئ قول النبي ﷺ لسعيد بن المعلّى: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢]» هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»^(١)، فإن له أن يتساءل: ما سبب كونها أعظم سورة في القرآن؟ وما دلالة تسميتها بالسبع المثاني؟ وتسميتها بالقرآن العظيم؟.

وهكذا يقال عندما يسمع حديثاً أو أكثر في فضل سورة البقرة وآل عمران، أو الإخلاص والمعوذتين، أو يقرأ عن فضل آية الكرسي، فظهر بذلك علاقة الفضائل، واثرها في لفت نظر القراء لتدبر كلام الله.

المطلب الثالث: حثه على مجالس مدارس القرآن:

المدارس مفاعلةً من الدرس، "وتدارس القرآن: قرأه وتعهده؛ لئلا ينساه"^(٢)، وهي تتحقق باثنين فأكثر، والأصل فيها: حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه»^(٣). "فعطفت التدارس على القراءة، فعلم أن الدراسة أخص من القراءة"^(٤).

(١) البخاري ح (٤٤٧٤).

(٢) تاج العروس (٧٠/١٦).

(٣) مسلم ح (٢٦٩٩).

(٤) التحرير والتنوير (٢٩٥/٣).

"ونزول السكينة عليهم كناية عن التباسهم بطمأنينة الإيمان، واستقرار ذلك في قلوبهم؛ لأن من تلا كتاب الله وتدارسه يحصل له بالتدبير في معانيه. والتفكر في أساليبه، ما يطمئن إليه قلبه، وتستقر له نفسه، وكأنه كان قبل التلاوة له والدراسة خالياً من ذلك، فحين تلا نزل ذلك عليه"^(١).

والحديثُ دالٌّ "على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته، وهذا إن حُملَ على تعلّم القرآن وتعليمه، فلا خلاف في استحبابه، وإن حُملَ على ما هو أعم من ذلك، دخل فيه الاجتماع في المسجد على دراسة القرآن مطلقاً"^(٢)، وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما: أي العمل أفضل؟ قال: "ذكر الله، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتعاطون فيه كتاب الله فيما بينهم ويتدارسونه، إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها، وكانوا أضياف الله ما داموا على ذلك حتى يفيضوا في حديث غيره"^(٣).

يقول النووي: "قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة بالدلائل الظاهرة، وأفعال السلف والخلف المتظاهرة"^(٤).

وأعلى صور المدارس القرآنية التي رويت في السنّة، تلك التي وقعت بين خير رسولٍ بشري، مع خير رسولٍ ملكي، كما في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٥٨٢/٢).

(٢) قاله ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" (٣٠٠/٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح (٣٠٣٠٨) وسنده صحيح، وقد روي مرفوعاً، والموقوف أصح، كما قال ابن

رجب في "جامع العلوم والحكم" (٣٠١/٢).

(٤) التبيين في آداب حملة القرآن (ص: ١٠١).

جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسله»^(١).

ومما يستدل له لهذا النوع المورث للتدبير: قوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وفي رواية: «إن أفضلكم...»^(٢).

وما يؤسف عليه: أن بعض الناس - ممن وفقهم الله لحفظ كتابه - تمضي أعمار بعضهم في المبالغة في التجويد، والمبالغة في تحقيق الحروف ومخارجها، وقد أحسن أبو شامة حين تبه على ذم هذا المسلك بعقد باب في كتابه "المرشد الوجيز" وعنوانه بقوله: "باب في الإقبال على ما ينفع من علوم القرآن والعمل بها وترك التعمق في تلاوة ألفاظه والغلو بسببها" فقال: "لم يبق لمعظم من طلب القرآن العزيز همة إلا في قوة حفظه وسرعة سرده وتحرير النطق بألفاظه والبحث عن مخارج حروفه والرغبة في حسن الصوت به. وكل ذلك وإن كان حسناً، ولكن فوقه ما هو أهم منه وأتم وأولى وأحرى، وهو فهم معانيه، والتفكير فيه، والعمل بمقتضاه والوقوف عند حدوده، وثمره خشية الله تعالى من حُسن تلاوته"^(٣).

ولا ريب أن تحقيق الثمرة والغاية من مجالس المدارس، لا بد أن يحاط بضوابط وشروط في المتدربين، حتى لا يقع الخلل والزلل، ومن ثم قد يقع عكس المقصود منها.

(١) البخاري ح (٦)، مسلم ح (٢٣٠٨).

(٢) كلا الروايتين عند البخاري ح (٥٠٢٧، ٥٠٢٨)، وقد وقع في بعض نسخ البخاري (أو علمه)، وينظر في توجيه ذلك: فتح الباري لابن حجر (٧٧/٩).

(٣) المرشد الوجيز (ص: ١٩٣)، وينظر كلام نفيس في هذا المعنى للغزالي في إحياء علوم الدين (١/٢٨٢ - ٢٨٤)، ولاين تيمية في مجموع الفتاوى (٥٠/١٦).

المطلب الرابع : إزالة الإشكالات :

من كمال التدبر أن يبنى على الفهم الصحيح للآية الكريمة، ومن المقرر بدهاء أن التدبر الأتم والأكمل للآية فرع عن الفهم الصحيح لها؛ "لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له، ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به، ولا معرفة من القيل والبيان إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به! فأما قبل ذلك، فمستحيل أمره بتدبره، وهو بمعناه جاهل"^(١)؛ لهذا كان ﷺ يحرص على إزالة أي لبس يعرض للصحب الكرام ﷺ في فهمهم للآيات.

والتأمل في الأحاديث المنقولة عن الصحابة ﷺ في هذا الباب يجدها قليلة، وهذا عائد إلى كمال علمهم، وقوة فهمهم، وصحة مقاصدهم، وكونهم أعلم الأمة بلغة القرآن، فإن اجتماع هذه الأسباب الأربع يعني الوصول إلى الحق في فهم النص، وعلى الضد من ذلك، فغياب واحد من هذه الأربع يؤدي إلى الغلط، يقول ابن تيمية: "فإن الاختلاف تارة ينشأ من: سوء الفهم، ونقص العلم، وتارة من سوء القصد"^(٢)، وقد سلم الله الصحابة ﷺ بتركية الله لهم . من سوء القصد، فبقي نقص العلم، ونقص التصور . الذي عبر عنه ابن تيمية بسوء الفهم .، ومن ثم وردت بعض الإشكالات عندهم في فهم النص القرآني، فسألوا عنه، فأزالها ﷺ^(٣)، ومن ذلك:

(١) ما رواه الشيخان من حديث ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قلنا: يا رسول الله، أين لا يظلم نفسه؟ قال: "ليس

(١) تفسير الطبري (٧٧/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٣١٠/١٦).

(٣) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (١١٧/٤).

كما تقولون: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟ [لقمان: ١٣] (١).

(٢) في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة، عذب» فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يَحْسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فقال: "ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب" (٢).

ولما تأخرت العصور بعد عصر الصحابة ﷺ بدأت تزداد الإشكالات، لأحد الأسباب السالفة، فصارت أسئلة التابعين للصحابة أكثر من أسئلة الصحابة للنبي ﷺ، وأسئلة أتباع التابعين للتابعين أكثر، وهكذا حتى بلغ الأمر منتهاه في القرون المتأخرة (٣)، فتعين على ورثة الأنبياء أن يقوموا بهذه المهمة، خصوصاً حين يفتحهم هذا الميدان من ليس من أهله. وما أكثرهم في عصرنا. ممن يبنون أحكاماً خطيرة بناء على مقدمات خاطئة.

ولقد قام الصحابة ﷺ بهذه المهمة خير قيام، فمن الأمثلة التي طبقها الصحابة مع التابعين في إزالة الإشكالات، قصة عروة مع عائشة رضي الله عنها في فهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَبَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] (٤)، وكذلك ما فهمه بعض

(١) البخاري ح (٣٣٦٠)، مسلم ح (١٢٤).

(٢) البخاري ح (١٠٣)، مسلم ح (٢٨٧٦).

وفي الباب حديث أبي بكر عند أحمد ح (٦٨، ٦٩)، وصححه ابن حبان ح (٢٩١٠)، والحاكم (٧٨/٣).

(٣) ينظر: الصواعق المرسله (٦٥٣/٢).

(٤) البخاري ح (١٦٤٣)، مسلم ح (١٢٧٧).

الناس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] في قصة فتح القسطنطينية^(١)، وغيرها كثير، وهي ليست من شرط بحثنا هذا، لذا أكتفي بالإشارة إليها فحسب.

المطلب الخامس: ثناؤه على الذين يعملون بالقرآن :

العمل بالقرآن هو ثمرة العلم به، وهو أحد معاني التلاوة التي أثنى الله بها على أهل القرآن، وبقية الكتب السماوية: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، قال ابن عباس: "يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه عن مواضعه"^(٢). ومن أدلّ الأحاديث على تقرير هذا المعنى حديثُ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ریح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ریح وطعمها مر»^(٣).

فالقاسم المشترك بين المؤمن والمنافق في الصورة الأولى هي القراءة، لكن الفرق بينهما في العمل، وآفة ذلك عند التأمل تعود إلى فقه مراد الله تعالى بكلامه، كما وبجّهم الله بقوله: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، فالنبي ﷺ "جعل طيب الطعام دائراً مع العمل، وجعل طيب الرائحة صفة للتلاوة، والمجدي على المرء هو

(١) أبو داود ح (٢٥١٢)، الترمذي ح (٢٩٧٢) — وقال: حسن صحيح غريب — النسائي في "الكبرى" ح (١٠٩٦١، ١٠٩٦٢)، وصححه ابن حبان ح (٤٧١١)، والحاكم في "المستدرک" (٩٤/٢)، وهو كما قالوا.
(٢) تفسير الطبري (٤٨٨/٢).
(٣) البخاري ح (٥٤٢٧)، مسلم ح (٧٩٧). وينظر تعليق نفيس لابن القيم على هذا الحديث في زاد المعاد (١/٣٢٧).

عمله، أما التلاوة وحدها فإنها لا تجدي، فالمنافق يتلو القرآن ولكنه في الدرك الأسفل من النار...، **والعملُ بالقرآن يقتضي فهم معانيه**، وكذلك كان المخاطبون بهذا الحديث، فإن القرآن بلغتهم نزل؛ ولهذا لم يقل في الحديث: "المؤمن الذي يقرأ القرآن ويفهمه ويعمل به"؛ لأن ذكر الفهم لأولئك المخاطبين حشو، تتحاشى عنه البلاغة النبوية^(١)، "وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمر الإيمان، وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر، فيفعلها البر والفاجر، والمؤمن والمنافق"^(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **«يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران»**، وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: **«كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما»**^(٣).

فالنبي صلى الله عليه وسلم قيد قراءة القرآن بالعمل به؛ "لأن الذين يقرءون القرآن ينقسمون إلى قسمين:

قسم لا يعمل به، فلا يؤمنون بأخباره، ولا يعملون بأحكامه، هؤلاء يكون القرآن حجة عليهم، وقسم آخر: يؤمنون بأخباره، ويصدقون بها، ويعملون بأحكامه، فهؤلاء يكون القرآن حجة لهم يحاج عنهم يوم القيامة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "القرآن حجة لك أو

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير، لابن باديس (ص: ٢٠٤) باختصار.

(٢) زاد المعاد (١/٣٢٧).

(٣) مسلم ح (٨٠٥).

عليك" وفي هذا دليل على أن أهم شيء في القرآن العمل به، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، أي: يتفهمون معانيها، ويعملون بها، وإنما أحر العمل عن التدبر؛ لأنه لا يمكن العمل بلا تدبر، إذا إن التدبر يحصل به العلم، والعمل فرع عن العلم"^(١).

وفي مقابل مدح العاملين به، ترد نصوص كثيرة في الوعيد على من قصد بتعلم القرآن غير الله، ومن قصد غير الله، قصر في العمل به، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: . في أول من تسعر بهم النار . قال رسول الله ﷺ: "ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار"^(٢).

وخلاصة ما سبق: أن علاقة هذا الثناء والذم بالحث على التدبر تظهر بمدح الذي يفقه معانيه ويعمل به، وذم من يقرؤه دون فقه ولا عمل.

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٤/٦٣٨).

(٢) مسلم ح (١٩٠٥).

المبحث الثاني: الوسائل العملية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التغمي به :

لا ريب أن الصوت الحسن "نعمة من الله تعالى، وزيادة في الخلق ومِنَّة، وأحقُّ ما لبست هذه الحلة النفيسة، والموهبة الكريمة: كتابُ الله" (١)، وقد كان النبي ﷺ يشجّع من أوتي من أصحابه حُسْنَ الصوت، كما قال لأبي موسى: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزامرا من مزامير آل داود»، وقد بَوَّب البخاري في صحيحه على هذا الحديث فقال: "باب حُسْنِ الصوت بالقراءة للقرآن" (٢).

ولعظيم أثر حسن الصوت والتغمي به في التدبير، جاء الوعيد لمن كان قادراً على تحسين صوته ولم يفعل، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» (٣).

وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ؓ قال: «ما أذن الله لشيءٍ ما أذن للنبي أن يتغن بالقرآن» (٤)، والمعنى: ما استمع الله لشيءٍ كاستماعه لنبي يتغن بالقرآن، أي يتلوه بجهر به (٥). والمراد بالقرآن هنا: جميع الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء

(١) "أحكام القرآن" لابن العربي (٥/٤).

(٢) البخاري ح (٥٠٤٨)، مسلم ح (٧٩٣).

(٣) البخاري ح (٧٥٢٧). والأرجح في تفسير التغمي - هنا - هو تحسين الصوت به، والترجيع في قراءته، بحيث لا يخرج إلى لحن أهل الفسق، وتفسيره بالاستغناء مرجوح، وإن كان له وجه في اللغة، فالسياق لا يساعد عليه، بل جاء في بعض ألفاظ هذا الحديث - البخاري ح (٧٥٤٤)، مسلم ح (٧٩٢) - : "ما أذن الله لشيءٍ ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به" مما يقوي رجحان القول الأول. وينظر: ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٥٨/١٠-٢٦١)، فتح الباري لابن حجر (٧٠-٦٩/٩).

(٤) البخاري ح (٥٠٢٣)، مسلم ح (٧٩٢).

(٥) النهاية في غريب الحديث (٣٣/١).

والرسل^(١)، فكلها مقروءة، فعبر عنها بالمصدر، وإلا فالقرآن عند الإطلاق، لا يراد به إلا ما نزل على قلب نبينا محمد ﷺ.

وقد كان النبي ﷺ محققاً لهذه الفضيلة . أعني: تحسين الصوت بالقرآن . ففي الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: "سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿والتين والزيتون﴾ في العشاء، وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة"^(٢)، ومع كون الصوت الحسن هبةً من الله، إلا أن المؤمن يجتهد في تحسين صوته بالتلاوة ما استطاع، فهذا مناط التكليف . وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري: أن أسيد بن حضير رضي الله عنه . وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن . بينما هو ليلةً يقرأ في مربده، إذ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضاً، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقممت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله ﷺ، ... الحديث وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم»^(٣).

والشرع والعقل دالان على أثر ذلك في التدبير؛ فلا غرو أن تواطأت السنة النبوية على الثناء على صاحب الصوت الحسن وتشجيعه، والوعيد لمن قدر على التغني ولم يفعل^(٤).

(١) يدل لهذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه — عند البخاري ح (٣٤١٧) — عن النبي ﷺ قال: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنَ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِهِ فَيَسْرِعُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَسْرِعَ دَوَابِهِ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»، قال ابن الجوزي في "كشف المشكل" (٥٢٩/٣): "يعني: القراءة لكتابه الزبور" اهـ.

(٢) البخاري ح (٧٦٩)، مسلم ح (٤٦٤).

(٣) البخاري ح (٥٠١٨)، مسلم ح (٧٩٦). وقد ورد وصُفِّه بحُسن الصوت عند النسائي في الكبرى ح (٧٩٦٢)، ولم يرد في الصحيحين.

(٤) وقد ذكر الخطيب البغدادي في "تاريخه" في ترجمة أبي بكر الأدمي (٥٢٦/٢) قصةً طريفةً في أثر حُسن الصوت في الدعوة إلى الله، وإنكار المنكرات.

المطلب الثاني: القراءة بالترتيل :

من جوانب عظمة هذا القرآن، أن الله تعالى تولى بيان كيفية قراءته؛ لعظيم أثرها على تحقيق التدبر، وقد اتفقت جميع الآيات على الأمر بالترتيل، والثناء على من يتلونه حق تلاوته، قال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والملاحظ في آية المزمل أن الأمر بالترتيل جاء التأكيد عليه من جهتين: الأولى: من

جهة الأمر: ﴿وَرَتَّلِ﴾، الثانية: ذكر المصدر ﴿تَرْتِيلاً﴾.

ويلاحظ أيضاً. أن هذا الأمر جاء، مع أنه لم ينزل من القرآن إلا القليل من السور والآيات، لا تتجاوز صفحاتها في المصحف عدد أصابع اليد، مما يدل على عظيم أثر هذه الصفة ومحبة الله لها.

وقد امتثل النبي ﷺ هذا الأمر الإلهي له بالترتيل، ففي صحيح مسلم من حديث

حفصة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سبحة قاعداً، حتى

كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحة قاعداً، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها، حتى

تكون أطول من أطول منها»^(١).

وفي سنن أبي داود من حديث أم سلمة رضي الله عنها لما سئلت عن قراءة النبي ﷺ؟

(١) مسلم ح (٧٣٣).

"فنعنت قراءته: حرفاً حرفاً" (١)، "وإنما كان يفعل ذلك . والله أعلم . لأمر الله له بالترتيل، وأن يقرأه على مكث، وألا يحرك به لسانه ليعجل به، فامتثل أمر ربه تعالى فكان يقرؤه على مهل ليبين لأمته كيف يقرءون، وكيف يمكنهم تدبر القرآن وفهمه" (٢).

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: «قرأ النبي ﷺ عام الفتح في مسير له سورة الفتح على راحلته، فرجع (٣) في قراءته» (٤)، وفي لفظ البخاري: "قراءة لينة يقرأ وهو يُرَجِّع" (٥).

وروى أهل السنن من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها" (٦).

وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . حديثه الطويل في قيام الليل . وفيه: "صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت:

(١) أبو داود ح (١٤٦٦)، والترمذي ح (٢٩٢٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه ابن خزيمة ح (١١٥٨)، وابن حبان ح (٢٦٣٩) - وليس في لفظه نعت القراءة، بل اقتصر على قصة قيام الليل -، والحاكم (٤٥٣/١). وقد أعله بعض العلماء بجهالة يعلى بن مئلك - على وزن جعفر -، وهو الذي سأل أم سلمة، وفي صحيح الترمذي وابن خزيمة له، نوع توثيق ضمني، خاصة وهو في طبقة التابعين، ومثل هؤلاء جهالتهم محتمة عند الأئمة، وحديثهم لا بأس به، بشرط ألا يأتي بما يستغرب.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٧٤/١٠).

(٣) الترجيع هو: ترديد القراءة، ومنه ترجيع الأذان، وقيل: هو تقارب ضروب الحركات في الصوت، كما في "النهاية" (٢٠٢/٢).

(٤) البخاري ح (٤٢٨١)، مسلم ح (٧٩٤).

(٥) البخاري ح (٥٠٤٧).

(٦) سنن أبي داود ح (١٤٦٤)، الترمذي ح (٢٩١٤)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى ح (٨٠٠٢)، وصححه ابن حبان ح (٧٦٦).

يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ...^(١).

وقد فقه هذا المعنى الصحابة رضي الله عنهم، فقد قال ابن مسعود لرجل أخيره أنه قرأ المفصل البارحة! فقال: «هذا كهذا الشعر؟! إنا قد سمعنا القراءة، وإني لأحفظ القرآن التي كان يقرأ بمن النبي صلى الله عليه وسلم، ثماني عشرة سورة من المفصل، وسورتين من آل حم»^(٢)، وإنما أنكر ابن مسعود على الرجل قراءة المفصل في ركعة؛ "ليحضه على تدبر القرآن؛ لا أنه لا تجوز قراءة المفصل في ركعة، فقد تجوز قراءة القرآن بغير تدبر"^(٣).

ولما سأل أبو حمزة الضبيُّ ابنَ عباس فقال: إني رجل سريع القراءة، وربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين، قال له ابن عباس: "لأن أقرأ سورة واحدة أعجب إليّ من أن أفعل مثل الذي تفعل، فإن كنت فاعلاً لا بد، فاقراه قراءة تسمع أذنك ويعيه قلبك"^(٤).

وقال ابن أبي مليكة: صحبتُ ابن عباس من المدينة إلى مكة، وكان يصلّي ركعتين، فإذا نزل قام شطر الليل، ويزل القرآن يقرأ حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من الشحيح والنحيب، ويقرأ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] ^(٥).

(١) رواه مسلم ح (٧٧٢).

(٢) البخاري ح (٥٠٤٣)، مسلم ح (٨٢٢)، وفيه قصة أطول.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٩٢/٢).

(٤) مصنف عبدالرزاق (٤٨٩/٢)، والبيهقي في السنن الكبير (٢٠/٣)، وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الفسوي في "المعرفة والتاريخ" (٥٣٤/١)، وسنده لا بأس به، من أجل صالح بن رستم الخزاز، فهو صدوق كثير

الخطأ، كما قال ابن حجر في التقريب (٢٨٦١)، ولكن يحتمل منه هنا في أمثال هذه الآثار.

ثم تلقى علماء التابعين عن الصحابة رضي الله عنهم ، فقد سأل رجل مجاهداً، فقال: رجل قرأ البقرة، وآل عمران في ركعة قيامهما واحد، وسجودهما وركوعهما واحد، وجلسهما واحد أيهما أفضل؟ قال: «الذي قرأ البقرة» قال: ثم قرأ مجاهد: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] قال: على تؤدة^(١).

وقال طاووس في الترتيل: «تليته^(٢) حتى تفقهه»^(٣).

يقول النووي: "قال العلماء: والترتيل مستحب للتدبر ولغيره، قالوا: يستحب الترتيل للعجمي الذي لا يفهم معناه؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب"^(٤).

والمقصود مما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم ربي أصحابه قولاً وعملاً على هذه الصفة الشرعية لتلاوة القرآن؛ لعظيم أثرها في التدبر وغيره، كما ذكر النووي، وسار على دربه أصحابه رضي الله عنهم من بعده، ثم التابعون، عليهم رحمة الله.

(١) أخرجه ابن المبارك في "الزهدي" ح (١٢٨٥)، وابن أبي شيبة في "المصنف" ح (٨٧٣٥)، وسنده صحيح.

(٢) هكذا في المطبوع (تليته)، واستظهر المحقق أن الأقرب أنها (تبيته حتى تفقهه). قلت: ويمكن أن تكون: (تليته) من

التليين، وهو قريبٌ من المكث والترتيل، وهي أقرب إلى صورة الكلمة من (تبيته)، والله أعلم.

(٣) مصنف عبدالرزاق (٤٩٠/٢) وسنده صحيح.

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٩١).

المطلب الثالث: تكرار الآية التي يفتح لها القلب، أو التوقف عندها:

روى أبو ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ بآية حتى أصبح، يرددّها. والآية: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] ^(١).

علق ابن القيم على حديث أبي ذر فقال: "فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه = كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف، يردد أحدهم الآية إلى الصباح" ^(٢).

(١) النسائي ح (١٠٨٤)، ابن ماجه ح (١٣٥٠)، أحمد ح (٣٩٠/٣٥) ح (٢١٤٩٥)، وصححه الحاكم (٣٦٧/١)، وصححه إسناده ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (١٨٧/١)، البوصيري في "المصباح" (١٥٩/١)، وعلق ابن خزيمة (٢٧١/١) صحة الحديث على الرواية للحديث عن أبي ذر: جسر بنت دجاجة، فإنها تابعة — على الراجح ولم تثبت صحبتها — سمعت أبا ذر، وتكلم فيها البخاري وغيره، وقد اختلف عليها في سند هذا الحديث، مع إعلال البزار له بتفردا بهذا الحديث عن أبي ذر.

ومن أعدل الأقوال فيها - إن شاء الله - قول الدراقطني: "يعتبر بحديثها إلا أن يحدث عنها من يُثرك"، والرواي عنها هنا ليس متروك الحديث، بل توبع كما قال البيهقي في السنن. ويحمل كلام البخاري على ما تفردت به من بعض الأحاديث التي لا يهتمها مثلها في الأحكام، كحديث: "إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب".

فالإسناد حسن إن شاء الله، ومما يستأنس به: تخريج النسائي له، وعدم إعلاله — وشرطه في الرواية هو الأقوى من بين أصحاب السنن. والله أعلم.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٨٩/٨)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥١/٢)، مسند أحمد (٣٩٠/٣٥) ح (٢١٤٩٥)، التاريخ الكبير للبخاري (٦٧/٢)، الثقات للعجلي (ص: ٥١٨)، مسند البزار (٤٥١/٩)، سؤالات البرقاني للدارقطني (ص: ٢٠)، السنن الكبرى للبيهقي (٢٠/٣).

وإنما أطلت في بحثه قليلاً، لأنه العمدة في الباب، فلم أقف على حديث مرفوع في الباب غيره، يصح بمثله هذا التكرار.

(٢) مفتاح دار السعادة (١٨٧/١).

ومما يدخل ضمناً تحت هذا المعنى: حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه. الذي سبق قريباً . وفيه: "يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ..."^(١).

ومن شواهد ما ذكره ابن القيم عن السلف: ما رواه ابن المبارك في "الزهد" عن طاووس: قال لي رجل من أهل مكة: "هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيت ذات ليلة حتى أصبح، أو كرب أن يصبح، يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويكي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْيَاهُمْ وَمَنَّهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]"^(٢).

وروى عبدالرزاق في "مصنّفه" من طريق سعيد بن عبيد قال: رأيت سعيد بن جبير . وهو يؤمهم في رمضان . يردد هذه الآية: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١] ، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧]، يرددها مرتين أو ثلاثاً^(٣).

وعقد أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه "الفضائل" باباً في: "ما يستحب لقارئ القرآن من تكرار الآية وتردادها"^(٤)، وذكر فيه جملة من الآثار في هذا الباب. **والمقصود** أنه إذا كان التكرار أسلوباً تربوياً وتعليمياً في ترسيخ المعلومة، فإن تطبيقه مع كتاب الله تعالى يورث أنواعاً من العلم القلبي، والنظري، جراء إعمال العقل والفكر في أي الكتاب العزيز، وهذا شيء مشاهد ومجرب.

(١) رواه مسلم ح (٧٧٢).

(٢) الزهد (٣١/١)، وسنده إلى طاووس صحيح.

(٣) مصنف عبدالرزاق (٤٩٢/٢)، وسنده صحيح.

(٤) فضائل القرآن (ص: ١٤٤).

المطلب الرابع: الاستماع للقرآن من الآخرين:

تنوعت الإشارة في القرآن الكريم إلى أثر هذا النوع في حضور القلب، والتفاعل مع الآيات الكريمة، مما يخفي أثره ويظهر.

أما الخفي: فهو ما ذكره الله عن أعمال القلوب التي تحصل جراء سماع الوحي والتأثر به، وأما الظاهر: ففيما يحصل من خرورج الأذقان، وسجود على الجباه، مقروناً بالبكاء أحياناً، كقوله تعالى . عن الأنبياء :: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرِّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مریم: ۵۸]، وكقوله عن أولي العلم . إذا سمعوا القرآن :: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (۱۰۷) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (۱۰۸) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَنْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ۱۰۷ - ۱۰۹]، وفي الآية التي قصت حال القسيسين مع القرآن: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ۸۳]، وكل هذه الآيات تنص على حالة السماع للوحي السماوي من الغير: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا﴾، مما يؤكد عظيم أثر هذا الاستماع في تحقيق مراد الله تعالى من التفكير والتدبير.

وفيما يخص التطبيق النبوي لهذا المعنى، فقد روى الشيخان عن ابن مسعود س: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي» قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمع من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ۴۱] «حسبك الآن»، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان^(۱).

(۱) رواه البخاري ح (۵۰۵۰)، ومسلم ح (۸۰۰).

وللصحابة رضي الله عنهم. الذين تربوا في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم نصيب من هذا، ومن ذلك:
ما روي أن عقبة بن عامر . وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن . قال له عمر:
اعرض عليّ سورة براءة! فقرأها عليه، فبكى عمر بكاءً شديداً، ثم قال: «ما كنت أظن
أنها أنزلت»^(١)!

وقال أبو سلمة ابن عبدالرحمن: كان عمر يقول لأبي موسى: يا أبا موسى ذكرنا
ربنا، فيقرأ عنده أبو موسى . وهو جالس في مجلسه . ويتلاحن^(٢).

وهذا شيء معلومٌ يجده الإنسان من نفسه، فإن بعض القراء ممن آتاهم الله صوتاً
حسناً، يقع . في بعض الأحيان . التأثر منهم، والتأثير في النفس أكثر مما يجده الإنسان
من قراءته بنفسه، خاصة إذا كان القارئ ممن يقرأ القراءة المفسرة، التي يشعر السامع معها
أن القارئ يتدبر ويعي معاني ما يقرأ، "والقلوب تخشع بالصوت الحسن، وما تتأثر به
القلوب في التقوى، فهو أعظم في الأجر، وأقرب إلى لين القلوب، وذهاب القسوة
منها"^(٣).

وأجد من المناسب دِكْرُ بعض ما وقع لابن العربي من مواقف لا تخلو من فائدة،
حيث يقول:

(١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ٨٢)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٠/٤٩٩)، وفي سنده لئ من أجل حيي بن
عبدالله المعافري، فهو صدوقٌ بهم، وظاهر القصة أنها مرسلّة، فإن أبا عبدالرحمن الجبلي لم يدرك عمرَ سن، وليس في الرواية ما
يؤحي بسماعه لها من عقبة بن عامر سن . والله أعلم ..

ومما يستأنس به احتجاج الذهبي بها، والذي علّق عليها بقوله . في تاريخ الإسلام (٢/٥٢٤). قائلاً: "معناه ما كأي كنت
سمعتها؛ لحسن ما حثّرها عقبة بتلاوته، أو يكون الضمير في " نزلت " عائداً إلى آيات من السورة استغريها عمر، والله أعلم ."

(٢) رواه أبو عوانة في مستخرجه (٢/٤٧٥)، وفي سنده إرسال؛ لأن أبا سلمة لم يسمع من عمر . ومعنى: يتلاحن، أي: يقرأ
بقراءة ملخنة.

(٣) أحكام القرآن (٥/٤) باختصار.

"سمعت تاج القراء ابن لفته بجامع عمرو يقرأ: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء: ٧٩]، فكأنني ما سمعت الآية قط.

وسمعت بمدينة السلام شيخ القراء البصريين يقرأ. في دار بها الملك: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ
الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، فكأنني ما سمعتها قط حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾
[البروج: ١٦] فكأن الإيوان قد سقط علينا.

وكان ابن الكازروني^(١) يأوي إلى المسجد الأقصى، ثم تمتعنا به ثلاث سنوات، ولقد
كان يقرأ في مهد عيسى فيسمع من الطور، فلا يقدرُ أحدٌ أن يصنع شيئاً طولَ قراءته
إلا الاستماع إليه.

وكان صاحب مصر. الملقب بالأفضل^(٢). قد دخلها في المحرم سنة (٤٩٢ هـ) وحولها
عن أيدي العباسية، وهو حنق عليها وعلى أهلها بحصاره لهم وقتالهم له، فلما صار فيها،
وتداني بالمسجد الأقصى منها، وصلى ركعتين تصدى له ابن الكازروني، وقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ
مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْئِلُّ مَنْ
تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فما ملك نفسه حين
سمعه أن قال للناس على عظم ذنبهم عنده، وكثرة حقه عليهم: ﴿لَا تُقْرِبْ عَلَيْنَا يَوْمَ
يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]^(٣).

(١) لم أفق على ترجمته.

(٢) هو أحمد بن بدر الجمالي، أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل، أرمني الأصل. داهية، فحل الرأي، شهيم،
جيد السياسة. كانت ولايته ثمانية وعشرين سنة، ينظر في ترجمته: الأعلام للزركلي (١٠٣/١).

(٣) أحكام القرآن (٤/٤-٥).

المطلب الخامس: تدبر الآيات التي ختمت بالاستفهام:

ورد في السنة جملة من الأحاديث والآثار التي يقع فيها تفاعل بالرد على سؤال يرد في السورة، وغالباً ما يكون في ختامها، مما يدل على تحقيق مقصد من مقاصد التدبر، وهو التفاعل مع الآيات الكريمة، والتجاوب معها، ومن ذلك:

١. ما رواه أبو داود من طريق إسماعيل بن أمية قال: سمعت أعرابياً يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ منكم والتين والزيتون، فانتهى إلى آخرها: ﴿الَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: لا أقسم بيوم القيامة، فانتهى إلى ﴿الَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، فليقل: بلى، ومن قرأ: والمرسلات، فبلغ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]، فليقل: آمنا بالله"، قال إسماعيل: ذهبت أعيد على الرجل الأعرابي، وأنظر لعله، فقال: «يا ابن أخي، أتظن أني لم أحفظه، لقد حججت ستين حجة، ما منها حجة إلا وأنا أعرف البعير الذي حججت عليه»^(١).

(١) أبو داود ح (٨٨٧)، والترمذي ح (٣٣٤٧)، وأحمد ح (٧٣٩١)، وصححه الحاكم (٥٥٤/٢). ووقعت تسمية الأعرابي عند الحاكم: أبا اليسع، ولكن هنا لا يصح، لأن الذي سماه راو متروك اسمه: يزيد بن عياض، وسمي: محمد بن عبدالرحمن بن سعد، عند أبي بكر الشافعي في "الغليات" ح (٧١٨)، وفي سننه متروك. ورواه ابن أبي حاتم في العلل رقم (١٧٦٣) من طريق ابن علية، عن إسماعيل بن جعفر، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبي هريرة موقوفاً. وعبدالرحمن بن القاسم لم يسمع من أبي هريرة، وهذا الوجه الموقوف رجحه أبو زرعة، لكن قال ابن المديني: إن ابن علية لم يحفظه. وفي الحديث اختلاف أوسع من هنا، ينظر: علال الدارقطني (٢٤٨/١١)، ميزان الاعتدال (٥٨٩/٤).

٢ - وروى أبو داود من حديث موسى بن أبي عائشة، قال: كان رجل يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، قال: «سبحانك»، فبكى، فسألوه عن ذلك، فقال: «سمعت من رسول الله ﷺ»^(١).

٣ - روى الحاكم من حديث حجر بن قيس المدري، قال: بت عند أمير المؤمنين علي عليه السلام، فسمعتة - وهو يصلي من الليل - يقرأ فمر بهذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩] قال: بل أنت يا رب، ثلاثاً ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤]، قال: بل أنت يا رب، بل أنت يا رب، بل أنت يا رب، ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨، ٦٩]، قال: بل أنت يا رب ثلاثاً، ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢] قال: بل أنت يا رب، ثلاثاً^(٢).

(١) أبو داود ح (٨٨٤)، وفي سنده انقطاع، فموسى لم يدرك أحداً من الصحابة، ويوضح ذلك رواية إسرائيل بن يونس عن موسى عند عبدالرزاق في "التفسير" (٣٧٠/٣): عن موسى بن أبي عائشة، أن رجلاً حدثهم قال: أمهم رجل فقراً.. الحديث، ولهذا قال ابن حجر في "نتائج الأفكار" (٥٠/٢): "وموسى بن أبي عائشة ثقة مخج له في الصحيح، لكنه وصف بكنة الإرسال".

(٢) أخرجه الحاكم (٥١٨/٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ومن طريقه البيهقي في "السنن الكبير" (٤٤١/٢).

ورواه عبدالرزاق في "المصنف" (٤٥٢/٢) من طريق شداد بن جابان، عن حجر المدري، من فعله، وليس من فعل علي بن س، ولا أدري ممن هذا الاختلاف، فإن الحاكم رواه في "مستدرکه" من طريق أحمد بن حنبل، ثنا عبدالرزاق، أنبأ معمر، عن شداد

٤ . روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا قرأت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فقل: سبحان ربي الأعلى، وإذا قرأت: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠] فقل: سبحانك! ويلي^(١).

ومع ما في المرفوع من هذا الباب من مقالٍ، إلا أن الموقوفات جيدة الأسانيد، ومثلها يقوى الاستدلال به على ما نحن بصدده، وهو التفاعل مع الآيات الكريمة التي تختتم ببعض الأسئلة، التي يدل التفاعل معها على تدبر القارئ لكلام الله تعالى، وحضور قلبه مع تلك الأسئلة.

بن جابان الصنعاني، عن حجر بن قيس المدري، قال: بت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب... الحديث، ويحتمل أنه من شهاد بن جابان، فإنه ليس بالمشهور، وقد قال عنه ابن قطلوبغا: صدوق، كما في "التقات ممن لم يقع في الكتب الستة" (٢٢٣/٥)، والله أعلم.

(١) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٤١٨/٣)، وابن الضريس في "فضائل القرآن" ح (١٣)، والطبري في تفسيره (٣١٠/٢٤)، للمستغفري في "فضائل القرآن" ح (٧١-٧٣)، وصححه ابن حجر في "تتائج الأفكار" (٤٨/٢) موقوفاً، وأشار إلى ذلك أبو داود في السنن ح (٨٨٣).

الفصل الثاني: معالم الهدي النبوي العامة في التربية على التدبر .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: تخلّقه العمليّ بالقرآن :

لا شك أن للقدوة أثراً بالغاً على السامع لسير القدوات، فكيف بأثرها على المتلقي

المباشر؟!

ولما كان للقدوة الأثر العظيم، فقد أكثر القرآن من ذكر القصص والأخبار للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وخصّ الخليل بذلك فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [المتحنة: ٤].

وفيما يخص هذه الأمة، فقد أمر الله المؤمنين بالتأسي بخير قدوة وأسوة، محمد ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فقد جمع الله له أنواعاً من الكمالات البشرية لم تجتمع لغيره، ومن ذلك: تخلّقه بالقرآن الكريم، في أحواله كلها: فرحاً وحزناً، حرباً وسلاماً، في السراء والضراء، مع الصديق والبعيد، مما جعل ألصق الناس به من أهل بيته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول للسائل الذي سألها عن خلقه ﷺ: «ألست تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»^(١).

ومن تأمل السيرة النبوية، وجد أثر هذا التخلق بلا عناء، وما عقّوه عن آذوه يوم الفتح، وكرمه وجوده المتناهي . حين يعطي سائلاً غنماً بين جبلين . ولا صبره على الأذى القولي والفعلي الذي يسمعه ويصيبه = إلا نماذج تطبيقية لتخلقه بالقرآن .

(١) مسلم ح (٧٤٦).

ولعلي أشير في هذا المقام إلى نموذجين يوضحان هذا المعنى بشكل جليّ، وهما:

الأول: قول عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن^(١)، أي: يعمل به.

الثاني: يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ما منعتني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»^(٢)!

والوفاء بالعهد مع وروده في مواضع كثيرة، إلا أنه أيضاً جاء التأكيد عليه في سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر، وفيها يقول الله عن أولئك الكفار: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِذَا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدُوا مِنْهُمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَبْذُؤْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٦-٥٨].

والسؤال هنا: من الذي سيُشعرُ قريشاً أنهم وفوا بذلك؟ والحال حرب، والرجال قليل؟ ودولة الإسلام في بداية تأسيسها؟ والمهاجرون مظلومون في إخراجهم من ديارهم وأموالهم؟ لكنها أخلاق القرآن، التي كان ﷺ يتمثلها، ويعيشها واقعاً حياً، يؤثّر في الكفار قبل المسلمين؛ ولهذا كانت هذه المشاهد الحيّة تختصر مسافات كبيرة في التربية بالقرآن الكريم، وترجم معانيه بالقول والفعل، فصلوات الله وسلامه على من كتمه ربه، وأدبه فأحسن تأديبه.

(١) البخاري ح (٨١٧)، ح مسلم (٤٨٤).

(٢) رواه مسلم ح (١٧٨٧).

المبحث الثاني: رؤية آثار التدبر عليه ﷺ:

هذا المبحث وثيق الصلة بالذي قبله، إلا أن ثمة ما يختص بالحديث عن الآثار التي تشاهد من انفعاله مع الآيات وتأثرها بها المباشر، ومن المعلوم أن التأثير ليس هو التدبر، بل هو فرعٌ عنه في أحيانٍ كثيرة^(١).

وقد غني القرآن بذكر هذا الأثر في مواضع منه، كقوله تعالى . عن الأنبياء: ﴿إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ حَزُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، وكقوله عن أولي العلم إذا سمعوا القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]، وفي الآية التي قصت حال القسيسين مع القرآن: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

وهذا كله يؤكد أهمية العناية بالآثر الذي يظهر على القارئ لكتاب الله، ولعمري إن الأثر لدليل على تدبر وتأثر بالمتلو!

وفيما يخص النبي ﷺ، فقد حفظ لنا الصحابة ﷺ نماذج من ذلكم التأثير والتفاعل، أكتفي بذكر ثلاثةٍ منها للتدليل على ذلك، فمنها:

(١) ما رواه مطرف بن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء ﷺ^(٢).

(١) وإنما قيدهم بأحيانٍ كثيرة؛ لأن التأثير قد يكون بالتدبر وقد يكون بغيره، كأن يقع التأثير بسبب روعة القرآن ونظمه، وقد يكون بسبب حال الشخص في تلك اللحظة، ينظر: "مفهوم التفسير والتأويل" للطيار (ص: ٢٠٤).
(٢) رواه أبو داود، ح (٩٠٤) وأحمد في المسند ح (١٦٣١٢)، وصححه ابن خزيمة ح (٩٠٠)، وابن حبان ح (٦٦٥)، والحاكم (٣٩٦/١). والأزيز: هو غليان جوفه بالبكاء، ينظر: "غريب الحديث" لأبي عبيد (٢٢٢/١).

قال ابن بطال: "وهذه كانت سيرة الأنبياء والصالحين، كأن خوف الله أُشرب قلوبهم، واستولى عليهم الوجل حتى كأنهم عاينوا الحساب" (١).

(٢) روى مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حديثه الطويل في قيام الليل. وفيه: "صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ..." (٢).

(٣) روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأ علي» قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمع من غيبي»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١] «حسبك الآن»، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان (٣).

قال بعض العلماء: "وإنما بكى صلى الله عليه وسلم عند هذا؛ لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن" (٤).

لقد كنتُ أتساءل. وأنا أقرأ هذا الحديث. كم مرة قرأ ابن مسعود هذه الآية؟ وهل خطر بباله هذا المعنى الذي دمعت، بل سألتُ لأجله دموع النبي صلى الله عليه وسلم؟ وهو استشعاره

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠ / ١٨٧).

(٢) رواه مسلم ح (٧٧٢).

(٣) رواه البخاري ح (٥٠٥٠)، ومسلم ح (٨٠٠).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠ / ٢٨١).

عليه الصلاة والسلام هببة الموقف؟ وشهادته على أمته؟ يبدو أن هذا المعنى لم يظهر لابن مسعود كما بدا له تلك الساعة.

إن القارئ لحكاية هؤلاء الصحب الكرام لهذه المواقف، ليشعر أنها كانت ولا زالت محفورة في الذاكرة، وهذا شيء يجده أحدنا إذا رأى شيئاً من هذه الأحوال تقع من كبار علمائنا كيف يبقى أثرها على النفس، وإن طالت السنين، فكيف إذا كان هذا يقع من النبي ﷺ؟.

إن هذا التجاوب مع آي القرآن، هو صورة تطبيقية منه صلى الله عليه وسلم لتدبر القرآن، وهو رسالة عملية منه ﷺ تبين كيف يتدبر المؤمن هذا القرآن، بحيث يكون على الحال التي أشار لها ابن القيم حين قال: "إذا أردت الانتفاع بالقرآن: فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به مَنْ تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله"^(١)، فإذا بلغ العبد هذه الحال، تلقى الناس منه التدبر عملياً، كما كان يتلقونه منه صلى الله عليه وسلم وهم يرون أثر التدبر على جوارحه الشريفة.

(١) الفوائد (ص: ٣).

المبحث الثالث: تربيته للصحابة على مبدأ: "الإيمان قبل القرآن":

والمراد بهذا المبدأ: غرسُ معاني الإيمان، وتعظيمُ أمر الله ورسوله في القلوب، ومحبتهما، وتقديم ذلك كله على النفس والوالد والولد والناس أجمعين، وجعل ذلك من شروط صحة الإيمان، في تنويع عجيب في الوسائل التي تحقيق هذا الأصل المهم.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: "لقد عشنا برهة من دهرٍ، وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها، وأمراها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أتم اليوم القرآن، ثم لقد رأيتُ اليوم رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ولا يدري ما أمره، ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينثره نثر الدقل"^(١)(٢).

ويقول جندب بن عبد الله رضي الله عنه: كنا مع النبي ﷺ . ونحن فتيان حزاورة^(٣).

(١) الدقل: هو ردى التمر ويابس، كما في النهاية في غريب الحديث والأثر (١٢٧/٢).

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح المشكل (٨٥/٤) واللفظ له، وابن منده في الإيمان (٣٦٩/١). وقال: "هذا إسناد صحيح على رسم مسلم"، والحاكم في "المستدرک" (٩١/١) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه"، والحديث كما قال ابن منده لا كما قال الحاكم، فهو على شرط مسلم، من أجل القاسم بن عوف الشيباني . الراوي عن ابن عمر . فهو من رجال مسلم فحسب، وإسناد الحديث حسنٌ، من أجل عوفٍ هذا، فإنه صدوق، كما يتبين من ترجمته في تهذيب الكمال (٤٠٠/٢٣).

ومن بدائع تعليقات الطحاوي على هذا الحديث، أنه جعل تطبيق النبي ج لهذا المنهج في التربية، وبيان كيفية تعليم الناس القرآن، وطريقة أخذهم له، من التفسير العملي منه ج للنصيحة لكتاب الله تعالى. ينظر: شرح مشكل الآثار (٨٥/٤)

(٣) حزاورة: جمع حَزْوَر، وحزْوَر: هو الذي قارب البلوغ، والناء لتأنيث الجمع، ينظر: "النهاية" (٣٨٠/١).

فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً^(١).

ومما يوضح شيئاً من تفاصيل هذا المنهج النبوي، الذي تلقاه الصحب الكرام عن النبي ﷺ، ونقله الصحابة إلى التابعين، ما رواه أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ قال: إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبرونا: أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم ليشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم بل لا يجاوز هاهنا ووضع يده على الحلق^(٢). فمجموع هذه الآثار يبين المنهج النبوي الذي سار عليه ﷺ في غرس هذا المبدأ، وكيف أخرج ذلك الجيل العظيم - جيل الصحابة - مع أن أكثرهم لم يكن حافظاً للقرآن كله، بل الحفاظ له هم الأقل، لكنهم تلقوا حقائق القرآن، وفهموا مقاصديه ومعانيه، فسرى هذا في عباداتهم، وسلوكهم، ومعاملاتهم.

ومن تأمل في قصة إراقة الخمر، وفي قصة أبي طلحة حين نزل قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] وتصدقه بيستانه، وقصة ثابت بن قيس حين نزل صدر سورة الحجرات، وقصة كعب بن

(١) ابن ماجه ح (٦١)، وابن ابن منده في الإيمان (٣٧٠/١)، والبيهقي في السنن (١٧١/٣) من طريق حماد ابن نجيح، عن أبي عمران الجوني، عن جندب، به. وحماد هذا، وإن لم يكن كثير الرواية إلا أن كبار الأئمة وثقوه، كالإمام أحمد وابن معين، وأبو حاتم، وغيرهم، كما يتبين من ترجمته في "تهذيب الكمال" (٢٨٦/٧): ولهذا قال ابن منده. عقب إخراج الحديث: «البخاري استشهد بحماد هذا، وهو صالح»، وقال البوصيري في "مصباح الزجاجة" (١٢/١): "إسناد صحيح، رجاله ثقات". (٢) رواه ابن سعد في "الطبقات" (١٧٢/٦)، والطحاوي في شرح المشكل (٨٤/٤)، وسنده جيد، وهو من رواية حماد بن زيد عن عطاء بن السائب. وهو ممن احتلط، وقد نصّ النسائي وغيره على أن رواية حماد عنه جيدة. ينظر: سير أعلام النبلاء (١١٣/٦).

مالك حين أُمرَ بمفارقة زوجته، فقال: أطلقها أم ألحقها بأهلها؟ وقصة نساء الأنصار حين نزلت آية الحجاب؟ وغيرها كثير، إلا أكبر شاهد على أثر هذه التربية النبوية العظيمة. لذا، فإنني أتمنى أن يعود تطبيق هذا المنهج - "الإيمان قبل القرآن" - في حلقات مساجدنا، ولئن كان يصعب تحويل الحلقات كلها إلى هذا، فلا أقلّ من تأسيس حلقة في كلّ مجتمع تتبنى ذلك، وهذا يسبقه تهيئة المدرسين الذين يقومون على هذه الحلقة، إذ لا بد أن يكونوا ممن يتحلون بخلق القرآن، وعلى قدر جيد من التحصيل الشرعي، خاصة في القرآن وعلومه، وأن يكونوا ممن عرفوا بذلك، فالتلقي هنا ليس مجرد تلقين، بل نقل للمعرفة والسلوك.

إن كثيراً من طلاب الحلقات لا يتهيأ له الاستمرار حتى يحفظ - وهذا شيء طبيعي - فلتبق معه التربية الإيمانية، والهدايات القرآنية، وإن لم يكمل حفظ القرآن، إذ المقصد الأكبر إصلاح القلب والسلوك ما أمكن، وإن لم يتيسر الحفظ، فالحفظ فضل، يؤتيه الله من يشاء، وعلى مدار القرون لم يكن الحفاظ إلا عدداً قليلاً في الناس.

الخاتمة

بعد هذا التطواف المختصر في رياض السنة، التي حاولت فيها تلمس معالم المهدي النبوي في تربية الصحابة على التدبير، فإني أسجل ملخص ما سبق، مع بعض التوصيات فيما يلي:

أولاً: أن التدبير من أعظم مقاصد التنزيل، وقد حرص النبي ﷺ على تعريف أمته . وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم . معاني القرآن أعظم من حرصه على تعريفهم حروفه .
ثانياً: أن حياته ﷺ العملية، كانت بمثابة التفسير الحي والعملي، والتدبير التطبيقي لمعاني القرآن .

ثالثاً: أنه صلى الله عليه وسلم سلك في سبيل تربية أصحابه على التدبير عدة وسائل علمية وعملية، ظهر أثرها عليهم رضي الله عنهم، كما ظهرت هذه التربية في نقل الصحابة لها إلى من تلقى عنهم من التابعين رحمهم الله .

رابعاً: يلاحظ أنه ورد عن الصحابة صور من التربية العملية على التدبير في بعض المواضع . كإجابة الأسئلة القرآنية، وترديد الآيات . أكثر مما ورد في المرفوع، وهو يدل على أن بعض الصور فهم منها الصحابة عدم التوقيف على ذات الصور المروية في المرفوعات، كأثر علي في إجابة أسئلة آخر سورة الواقعة، وهي مسألة تحتاج لمزيد بحث وتحجير .

خامساً: أختتم بتوصيتين أراهما مهمة لتكميل جهود هذا المنتقى المبارك:

الأولى: فواقع حلقات ودور تحفيظ القرآن، يفتقد في كثير من الأحوال أبرز صور التربية النبوية بالقرآن، ومنها ما ألحْتُ إليه في مطلب: "التربية بالإيمان قبل القرآن"، وكذلك المنهج الذي سلكه الصحابة في تعليم القرآن عشر آيات، عشر آيات، وأنه ينبغي أن يكون هناك حلقٌ تعني بهذا المسلك النبوي، لتتربى أجيال الأمة بمعاني القرآن، أكثر من مجرد حفظ حروفه .

الثانية : عقد ندوات أو ملتقيات كهذا الملقى المبارك؛ لإبراز المنهج النبوي، والمنهج الذي سلكه الصحابة ومن تبعهم، في تربية من تحت أيديهم على القرآن، قولاً وعملاً وسلوكاً، وتتأكد العناية بإبراز جهود العلماء عبر القرون، كون تجاربهم تمثل ثروة مهمة في التعامل مع المتغيرات التي مرّت بها الأمة الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين إلى يومنا هذا، وكيف ربّوا تلك الأجيال بهدي القرآن؛ ليستفيد منها العلماء، والمربون، ومدرسو حلق تحفيظ القرآن من الرجال والنساء، وبالله التوفيق.

فهرس المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن لابن العربي، ت: علي البجاوي، ١٣٩٤هـ، دار الفكر، بيروت.
٢. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
٣. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، إشراف: بكر أبو زيد، الأولى، ١٤٢٦هـ، دار عالم الفوائد، مكة.
٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، ت: محمد عبدالسلام إبراهيم، الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٦. الأعلام، للزركلي، الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.
٧. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، ت: د. يحيى إسماعيل، الأولى ١٤١٩هـ، دار الوفاء، مصر.
٨. الإيمان لأبي عبدالله ابن منده، ت: د. علي الفقيهي، الثانية، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
٩. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، ١٤٢٠هـ، دار الفكر - بيروت.
١٠. تاج العروس، للزبيدي، لمجموعة من المحققين، دار الهداية.
١١. تاريخ الإسلام، للذهبي، ت: عمر تدمري، العشرون، ١٤١٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٢. تاريخ الثقات، للعجلي، بترتيب الهيثمي، ت: د. عبدالمعطي قلعجي، الأولى - ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٣. التاريخ الكبير، للإمام البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي . القاهرة، دار الفكر ، بيروت .
١٥. تاريخ دمشق، لابن عساكر، ت: عمرو العمروي، الأولى، ١٤١٥هـ، دار الفكر - بيروت.
١٦. التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ت: محمد الحجار، الثالثة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، دار ابن حزم، بيروت.
١٧. التحرير والتنوير، لابن عاشور، الأولى، ١٤٢٠هـ، مؤسسة التاريخ ، تونس.
١٨. تفسير البغوي، ت: محمد النمر وآخرون، الرابعة، ١٤١٧ هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض.
١٩. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) ت: محمد علي شاهين، الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٠. تفسير عبدالرزاق، ت: د.محمود محمد عبده، الأولى، سنة ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢١. تقريب التهذيب، لابن حجر، ت: محمد عوامة، الأولى ، ١٤٠٦هـ، دار الرشيد ، سوريا.
٢٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين المزي، ت: د.بشار عواد معروف، السادسة - ١٤١٥ هـ، الرسالة ، بيروت.
٢٣. الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، لابن قطلوبغا، ت: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الأولى، ١٤٣٢هـ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن.
٢٤. جامع البيان في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني، الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م جامعة الشارقة.

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، الأولى، ١٤٢٢هـ، دار هجر، مصر.
٢٦. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب، تحقيق شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، الأولى، ١٤١١هـ، الرسالة، بيروت.
٢٧. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، مطبعة المدني، القاهرة.
٢٨. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بدون بيانات أخرى.
٢٩. الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا، ت: محمد خير يوسف، الثالثة، ١٤١٩هـ، دار ابن حزم، بيروت.
٣٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ت: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، السابعة والعشرون، ١٤٢٥هـ، الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية بالكويت.
٣١. الزهد لابن المبارك، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٢. سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الباي الحلبي.
٣٣. سنن أبي داود، ت: محمد عوامة، الأولى، ١٤١٩هـ، دار القبلة - جدة.
٣٤. سنن الترمذي المطبوع باسم الجامع الكبير، للترمذي، ت: د. بشار عواد معروف، ثانية، ١٩٩٨م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
٣٥. السنن الكبرى، للنسائي، ت: حسن شليبي، وإشراف شعيب الأرنؤوط، الأولى، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة.
٣٦. السنن الكبرى للبيهقي، ت: محمد عبدالقادر عطا، الثالثة، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٧. سؤالات البرقاني للدارقطني رواية الكرجي عنه، ت: عبدالرحيم محمد أحمد القشقري، كتب خانة جميلي - لاهور، باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٨. سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين، السابعة، ١٤١٠ هـ، الرسالة، بيروت.
٣٩. شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، دار الوطن، الرياض.
٤٠. شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الثانية- ١٤٢٣ هـ.
٤١. شرح مشكل الآثار، ت: شعيب الأرنؤوط، الأولى، ١٤٠٥ هـ، الرسالة، بيروت.
٤٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفرسى تحقيق شعيب الأرنؤوط، ثانية، ١٤١٤ هـ، الرسالة، بيروت.
٤٣. صحيح ابن خزيمة، ت: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٤. صحيح البخاري، ت: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، الأولى، ١٤٠٠ هـ، المكتبة السلفية - القاهرة.
٤٥. صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية - اسطنبول.
٤٦. الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطله، ت: علي الدخيل الله، الأولى، ١٤٠٨ هـ، دار العاصمة، الرياض.
٤٧. الطبقات الكبرى لابن سعد، ت: إحسان عباس، الأولى، ١٩٦٨ م، دار صادر، بيروت.
٤٨. العلل، للدارقطني، ت: محفوظ الرحمن زين الله، الأولى، طيبة - الرياض.
٤٩. العلل، لابن أبي حاتم، ت: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/سعد بن عبد الله الحميد و د/خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، مطابع الحميضي بالرياض.

٥٠. غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام، الأولى-١٣٩٦هـ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند.
٥١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
٥٢. الفروق اللغوية للعسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٥٣. فضائل القرآن لابن الضريس، ت: غزوة بدير، الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، دار الفكر، دمشق.
٥٤. فضائل القرآن للمستغفري، ت: أحمد بن فارس السلوم، الأولى، ٢٠٠٨ م، دار ابن حزم
٥٥. فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ت: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، دار ابن كثير (دمشق - بيروت).
٥٦. الفوائد، لابن القيم، الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، دار الكتب العلمية - بيروت. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، أولى - ١٤١٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٧. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ت: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.
٥٨. مجالس التذكير من حديث البشير النذير لابن باديس، الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية.
٥٩. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن ابن قاسم، وابنه محمد [بدون بيانات].

٦٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ت: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الأولى - ١٤٢٢ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٦١. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ت: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤٢١ هـ.
٦٢. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي، ت: طيار قولاج، ١٣٩٥ هـ، بيروت.
٦٣. مستخرج أبي عوانة، ت: أيمن بن عارف الدمشقي، الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، دار المعرفة - بيروت.
٦٤. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، دار المعرفة، بيروت.
٦٥. مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط وجماعة، الأولى - ١٤١٣ هـ، الرسالة، بيروت.
٦٦. مسند البزار، حققه محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، الأولى (من ١٩٨٨ وانتهت ٢٠٠٩ م)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.
٦٧. مصباح الزجاجاة في زوائد سنن ابن ماجه، للبوصيري، تحقيق كمال الحوت، الأولى - ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الكتب الثقافية.
٦٨. المصنف، لعبدالرزاق الصنعائي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. المجلس العلمي.
٦٩. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، أولى - ١٤١٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٠. المعرفة والتاريخ، للفسوي، ت: أكرم العمري، الثانية، ١٤٠١ هـ، الرسالة - بيروت.
٧١. مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٢. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د.مسعد الطيار، الأولى، ١٤٢٣هـ، ابن الجوزي، السعودية.
٧٣. مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت.
٧٤. ميزان الاعتدال، ت: علي محمد البجاوي، الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
٧٥. نتائج الأفكار، لابن حجر، ت: حمدي عبدالمجيد السلفي، الثانية ١٤٢٩ هـ، دار ابن كثير، بيروت.
٧٦. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ت: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت.



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أمّ القري



بحوث

مُلَيْقِي الرَّبِّ بِرَبِّ الْقُرْآنِ مَسَاهِجٌ وَتَجَارِبٌ

لعام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تربية
الصحابة على تدبر القرآن

إعداد

د. عمر بن عبدالله بن محمد المقبل

www.msky.ws موقع سماء العقول

www.dawahmemo.com المفكرة الدعوية

المحور الثاني

هذي النبي صلى الله عليه وسلم في تربية
الصحابة على تدبر القرآن

إعداد

د. عمر بن عبدالله بن محمد المقبل

الأستاذ المشارك في كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:
فإن من البشائر التي تلوح في الأفق، هذه العودة المباركة للعناية بالدراسات القرآنية
عودةً مقترنةً بالتأصيل العلمي لموضوعاتها العلمية والتربوية، والتي منها هذا الملتقى المبارك
- ملتقى التربية بالقرآن الكريم (مناهج وتجارب)، الذي ينعقد في رحاب جامعة أم القرى،
بمكة شرفها الله، والذي يسرني أن أشارك فيه بهذه الورقة، التي عنوانها: "هدي النبي ﷺ
في تربية الصحابة على تدبر القرآن"، في مقدمة، وتمهيد، وفصلين وخاتمة، وفق الخطة
التالية:

المقدمة.

التمهيد، وفيه: التعريف بمفردات البحث، وإشارة موجزة إلى فضل التدبر في نصوص
الوحيين.

الفصل الأول: الوسائل العلمية والعملية التي طبقها النبي ﷺ للتربية على التدبر،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الوسائل العلمية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التدبر، والترهيب من الغفلة عنه.

المطلب الثاني: التنبيه على فضائل القرآن، والسور، والآيات.

المطلب الثالث: حثه على مجالس مدارس القرآن.

المطلب الرابع: إزالة الإشكالات.

المطلب الخامس: ثناؤه على الذين يعملون بالقرآن.

المبحث الثاني: الوسائل العملية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التغني به.

المطلب الثاني: القراءة بالترتيل.

المطلب الثالث: تكرار الآية التي يفتح لها القلب، أو التوقف عندها.

المطلب الرابع: الاستماع للقرآن من الآخرين.

المطلب الخامس: تدبر الآيات التي ختمت بالاستفهام.

الفصل الثاني: معالم المهدي النبوي العامة في التربية على التدبر، وفيه أربعة

مباحث:

المبحث الأول: تحلّقه العمليّ بالقرآن.

المبحث الثاني: رؤية آثار التدبر عليه صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث: تربيته للصحابة على مبدأ: "الإيمان قبل القرآن".

الخاتمة، ثم الفهارس.

وقد حرصتُ في هذا البحث على تحرير القول في الأحاديث المرفوعة والآثار

الموقوفة والمقطوعة التي تحتاج لذلك، فالأحاديث والآثار هي عمدة هذا البحث،

أسأل الله تعالى أن أكون وفقت في الإسهام في تأصيل هذا الموضوع في ضوء السنة

النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

الباحث

التمهيد

يحسن بنا قبل الولوج إلى ثنايا البحث أن أعرف بالتدبر، فأقول:
أصل الكلمة اللغوي لكلمة تدبر، مجله يعود إلى أصل واحد - كما يقول ابن فارس - وهو: "وهو آخر الشيء، وحلّفه خلاف قبّله"^(١)، ويقال: "ودبّر الأمر وتدبّره: نظّر في عاقبته، واستدبره: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره، وعرف الأمر تدبّراً: أي بأخّره، قال جرير:"

ولا تتفون الشرّ حتى يصيبكم ... ولا تعرفون الأمر إلا تدبّراً^(٢)

وقيل: التدبّر: التفكير، أي: تحصيل المعرفة لتحصّل معرفة ثالثة^(٣).

وقد فرّق أبو هلال العسكري بين التدبر والتفكر، فقال: "الفرق بين التفكير والتدبر: أن التدبر: تصرف القلب بالتّظر في العواقب، والتفكر: تصرف القلب بالتّظر في الدلائل"^(٤).

ويضاف أيضاً: أن التفكير عام في الأمور العلمية والمحسوسة الكونية، كما في أواخر آل عمران: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... الْآيَاتِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].
فتبين من هذا العرض الموجز أن التدبر يدور على معنى مؤخره الشيء وعاقبته، وكلمات المفسرين لا تكاد تخرج عن هذا، وأقتصر منها على ثلاثة نماذج:
١. قال البغوي: "التدبر: هو النظر في آخر الأمر، ودبر كل شيء آخره"^(٥).

(١) مقاييس اللغة (٢/٣٢٤).

(٢) الحكم والمحيط الأعظم (٩/٣١٣)، والبيت في ديوان جرير: (ص: ١٨٩).

(٣) تاج العروس (١١/٢٦٥).

(٤) الفروق اللغوية للعسكري (٧٥)، وينظر: "مفهوم التفسير والتأويل" للطيار (ص: ١٨٥) وما بعدها.

(٥) تفسير البغوي (٢/٢٥٤).

٢ — وقال ابن عطية : " والتدبر: النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء، هذا كله يقتضيه قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، وهذا أمر بالنظر والاستدلال" (١).

٣ — وقال الخازن : " أصل التدبر: النظر في عواقب الأمور والتفكر في أديارها، ثم استعمل في كل تفكر وتأمل" (٢).

ولم أقف في كلام المتقدمين على من عرّف التدبر على صناعة الحدود (٣)، وإذا أردنا أن نحاول استخراج تعريف للتدبر بالمعنى الاصطلاحي، فيمكن القول: **التدبر: "هو تأمل الآيات للاهتمام بما دلّت عليه علماً أو عملاً"**. ولإيضاح هذا التعريف، يقال: — قولي: "تأمل" (٤) الآيات"، وهذا يعني أن التدبر لا يتأتى في الواضح البين، بل لا بد أن يُسبق بشيء من النظر وإعمال الفكر والعقل؛ لاستنباط المراد.

— قولي: "للاهتمام بما دلّت عليه"؛ لأن هذه هي الغاية من التدبر، ولأن الله تعالى وصف كتابه فقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ولا يتأتى الوصول إلى جميع هذه الهدايات إلا بالتدبر.

— قولي: "علماً أو عملاً"؛ لأن التدبر إذا خلا من إحدى هاتين الثمنتين فهو تدبر ناقص، وإنما عطفْتُ بـ(أو)؛ لأن من الهدايات القرآنية ما يظهر فيه جانب العلم أكثر من ظهور العمل بمعناه الخاص، كالتدبر في الآيات التي تفصّل في النعيم أو العذاب

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٨٣/٢).

(٢) تفسير الخازن (٤٠٢/١).

(٣) وأما قول ابن القيم - رحمه الله - في "مدارج السالكين" (٤٤٩/١): "وأما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر" فإنه لم يذكره على سبيل التعريف، بل التقريب للمعنى.

(٤) التأمل هو: التثبت في النظر، وطول المدة فيه، ينظر: مقاييس اللغة (١٤٠/١)، الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٧٥).

الأخروي، أو بعض الأحكام الفقهية، وكذلك وصف بعض الأمور الكونية (١). والله أعلم.

أما يخص التدبر وفضله، فإن النصوص في ذلك متظاهرة ومتواترة؛ بل لا أعلم . بعد الأمر بالإيمان . أمراً توجّه إلى جميع الناس . مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم . مثل الأمر بالتدبر، فإن الله تعالى خاطب به الكفار في مكة فقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا . وفي قراءة: لتدبروا(٢) — آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وهاتان السورتان مكيتان، خوطب بالتدبر المؤمنون والكفار، وفي سورتي النساء ومحمد — وهما مدنيتان — خوطب المنافقون بذلك: ﴿أَفَلَا يَتَذَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَتَذَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] .

وإن أمراً يوجّه صراحةً إلى كل أصناف المجتمع -مسلمهم وكافرهم، مؤمنهم ومنافقهم - وتنوع فيه العبارة، وتذكر فيه بعض ثماره: كقوله: ﴿مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا... وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وكذا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، وتذكر معه أسباب الحرمان منه ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ = هو أمرٌ ذو شأن، وخليقٌ بأن يعنى به، وأن للتدبر أثره العظيم في تلقي رسالات الله، والعقل عنه سبحانه، والتحرر من القيود الاجتماعية والنفسية التي حجبت عقول أولئك عن قبول دعوة الحق، والدين الصحيح. وثمة معنى آخر يوجب العناية بالتدبر، وهو أنه لما كانت بعثة الرسل قائمة على إصلاح القلوب، وتعبيدها لخالقها وحده لا شريك له = أمر الناس بالتدبر؛ لأنه "مفتاح

(١) وإن كان ينبغي أن تورث تلك الآيات إجلالاً وتعظيماً لله تعالى، وهذا من أعمال القلوب.

(٢) ينظر: جامع البيان في القراءات السبع (٤/١٥٣٢)، وقد وجه ابن جرير هذه القراءة فقال: "المعنى: لتدبره أنت يا محمد وأتباعك"، تفسير الطبري (٧٩/٢٠).

حياة القلب"^(١)، "ولا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير، فإنه جامعٌ لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والانابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والافعال المذمومة، والتي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها"^(٢).

"والعادة المطردة . التي جبل الله عليها بني آدم . توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم لفظاً ومعنى؛ بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أوكد، فإنه قد عُلِمَ أنه من قرأ كتاباً في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك؛ فإنه لا بد أن يكون راغباً في فهمه وتصور معانيه، فكيف بمن قرءوا كتاب الله تعالى المنزل إليهم؟ الذي به هداهم الله، وبه عزّفهم الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، والرشاد والغي؟! فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات؛ بل إذا سمع المتعلم من العالم حديثاً فإنه يرغب في فهمه؛ فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه؟ بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول ﷺ في تعريفهم معاني القرآن أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه، فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا تحصل المقصود، إذ اللفظ إنما يراد للمعنى"^(٣).

وأما الأحاديث الواردة في فضل التدبر، فإن هذا البحث كلّه في تقرير ذلك صراحةً أو إشارةً، فأكتفي بهذه الإشارة لما سيأتي في مواضعه عن تكرار القول فيه.

(١) حادي الأرواح، لابن القيم (ص: ٦٩).

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/١٨٧).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥٧/٥).

الفصل الأول: الوسائل العلمية والعملية التي طبقها النبي ﷺ للتربية

على التدبير، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الوسائل العلمية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التدبير والترهيب من الغفلة عنه:

سبقت الإشارة قريباً إلى بعض ما ورد من الآيات الواردة في الحث على التدبير، وأما

السنة: فإن الحث على التدبير جاء من جهة المعنى في جملة أحاديث، منها:

أولاً: روى الشيخان من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني

الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت

الماء، فأنبت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله

بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك

ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم،

ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

ولا ريب أن التدبير لآيات الله داخل في هذا دخولاً أولياً، إذ لا يمكن لأحد أن

تكتمل آلة الفقه والفهم عنده، دون إعمال آلة التدبير، فالحديث تضمن الثناء على من

فقه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو بالمفهوم متضمن لدم من ترك التدبير، إذ الفهم

والفقه الذي يراد منه الاستنباط والعمل، مقترن بالتدبير وإعمال النظر .

(١) البخاري ح (٧٩)، مسلم ح (٢٢٨٢).

ثانياً: روى ابن ماجه من حديث زياد بن لبيد رضي الله عنه (١)، قال: ذكر النبي ﷺ شيئاً، فقال: «ذاك عند أوانِ ذهابِ العلم»، قلت: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناءنا؟ قال: «ثكلتك أمك يا زياد! إن كنت لأراك من أفاقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما؟» (٢).

فمنطوق الحديث: هو الذم لترك الفهم والتدبر للقرآن، وذم ترك العمل به، ومفهومه: الحث على ذلك، وهو متفق تماماً مع ما ورد في القرآن عن علماء أهل الكتاب . واليهود خاصة . كما في قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، وهم . كما قال مجاهد: "أناس من يهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله، ويقولون هو من الكتاب، أماني يتمونها" (٣).

وقال ابن جرير: يعني بقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ لا يعلمون ما في الكتاب الذي أنزله الله، ولا يدرون ما أودعه الله من حدوده وأحكامه وفرائضه، كهيئة البهائم (٤).

(١) هو زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر الأنصاري البياضي، شهد بدرًا، وكان عاملاً على حضرموت لما مات النبي ﷺ، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤٨٤/٢)، التقریب: (٢٠٩٧).

(٢) سنن ابن ماجه ح (٤٠٤٨)، وابن أبي شيبة ح (٣٠١٩٩)، والبخاري في "التاريخ الكبير" ٣/٣٤٤، وأعله البخاري بالانقطاع بين سالم بن أبي الجعد وبين زياد رضي الله عنه، وكذا قال الحافظ في "الإصابة" ٢/٥٨٧، والبوصيري في "مصباح الزجاجية" (١٩٤/٤). ويشهد له: حديث عوف بن مالك عند النسائي في "الكبرى" ح (٥٨٧٨)، وأحمد ح (٢٣٩٩٠)، وصححه ابن حبان ح (٤٥٧٢).

وأما قول الطحاوي - في شرح المشكل (٢٨٠/١) - عن حديث زياد: "هذا الحديث من أحسن الأحاديث وأصحها" فإن عنى به السند . وهو الظاهر . فقد تقدّم ما فيه، وإن عنى به المعنى، فهذا باب واسع.

(٣) تفسير الطبري (١٥٧/٢).

(٤) تفسير الطبري (١٥٤/٢). وينظر مقدمة الشنقيطي لأول تفسيره، ففيها كلام نفيس حول هذا المعنى.

ويمكن القول بأن جميع الآيات التي تأمر بالتفكير والنظر، وإعمال العقل، والأمر بالفقه، وذم قلته، وأمثالها= كلها داخلة في هذا المعنى، وهي آيات تتجاوز المثات في كتاب الله.

ثالثاً: روى الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الخوارج: «يتلون كتاب الله رطبا، لا يجاوز حناجرهم»^(١)، وفي معنى هذا تأويلان: الأول: "أي: أنه لم تفقهه قلوبهم ولا انتفعوا بما تلوا منه، ولا لهم فيه حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق، إذ بهما تقطع الحروف. والتأويل الآخر: أنه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا تتقبل"^(٢).

وعلى كلا التأويلين، فهو ذمٌ بالغ لعدم الفهم، وترك التدبر، والاقتصار على التلاوة، التي لم تعصمهم من فعل الموبقات والعظائم. وسيأتي في المطلب الخامس من هذا المبحث مزيد بيان في الكلام على ثناء صلى الله عليه وسلم على الذين يعملون بالقرآن^(٣).

المطلب الثاني: التنبيه على فضائل القرآن، والسور، والآيات :

جبل الله النفوس على الاستجابة للمحفزات، والتأثر الإيجابي بها، ولذا كان من حكمة الله تعالى أن تواترت النصوص من الكتاب والسنة على مبدأ الترغيب والترهيب؛ لما في ذلك من الأثر الحسن في فعل الفضائل، وترك الرذائل.

(١) البخاري ح (٤٣٥١)، مسلم ح (١٠٦٤).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦٠٩/٣).

(٣) ص (١٥).

ومن هذا الباب ما يتصل بفضائل السور والآيات، ففيها لفتٌ لنظر القارئ إلى سبب تفضيل هذه السورة، وتلك الآية؛ لأن التفضيل لا بد أن يكون لمعنى شرعي، يقتضي من القارئ التدبر والتأمل والتفكر في سبب التفضيل، ودلالاته.

فمثلاً: حين يسمع القارئ قول النبي ﷺ لسعيد بن المعلّى: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢]» هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»^(١)، فإن له أن يتساءل: ما سبب كونها أعظم سورة في القرآن؟ وما دلالة تسميتها بالسبع المثاني؟ وتسميتها بالقرآن العظيم؟.

وهكذا يقال عندما يسمع حديثاً أو أكثر في فضل سورة البقرة وآل عمران، أو الإخلاص والمعوذتين، أو يقرأ عن فضل آية الكرسي، فظهر بذلك علاقة الفضائل، واثرها في لفت نظر القراء لتدبر كلام الله.

المطلب الثالث: حثه على مجالس مدارس القرآن:

المدارس مفاعلةً من الدرس، "وتدارس القرآن: قرأه وتعهده؛ لئلا ينساه"^(٢)، وهي تتحقق باثنين فأكثر، والأصل فيها: حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه»^(٣). "فعطف التدارس على القراءة، فعلم أن الدراسة أخص من القراءة"^(٤).

(١) البخاري ح (٤٤٧٤).

(٢) تاج العروس (٧٠/١٦).

(٣) مسلم ح (٢٦٩٩).

(٤) التحرير والتنوير (٢٩٥/٣).

"ونزول السكينة عليهم كناية عن التباسهم بطمأنينة الإيمان، واستقرار ذلك في قلوبهم؛ لأن من تلا كتاب الله وتدارسه يحصل له بالتدبر في معانيه. والتفكر في أساليبه، ما يطمئن إليه قلبه، وتستقر له نفسه، وكأنه كان قبل التلاوة له والدراسة خالياً من ذلك، فحين تلا نزل ذلك عليه"^(١).

والحديثُ دالٌّ "على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته، وهذا إن حُملَ على تعلّم القرآن وتعليمه، فلا خلاف في استحبابه، وإن حُملَ على ما هو أعم من ذلك، دخل فيه الاجتماع في المسجد على دراسة القرآن مطلقاً"^(٢)، وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما: أي العمل أفضل؟ قال: "ذكر الله، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتعاطون فيه كتاب الله فيما بينهم ويتدارسونه، إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها، وكانوا أضياف الله ما داموا على ذلك حتى يفيضوا في حديث غيره"^(٣).

يقول النووي: "قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة بالدلائل الظاهرة، وأفعال السلف والخلف المتظاهرة"^(٤).

وأعلى صور المدارس القرآنية التي رويت في السنّة، تلك التي وقعت بين خير رسولٍ بشري، مع خير رسولٍ ملكي، كما في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٥٨٢/٢).

(٢) قاله ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" (٣٠٠/٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح (٣٠٣٠٨) وسنده صحيح، وقد روي مرفوعاً، والموقوف أصح، كما قال ابن

رجب في "جامع العلوم والحكم" (٣٠١/٢).

(٤) التبيين في آداب حملة القرآن (ص: ١٠١).

جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسله»^(١).

ومما يستدل له لهذا النوع المورث للتدبير: قوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وفي رواية: «إن أفضلكم...»^(٢).

وما يؤسف عليه: أن بعض الناس - ممن وفقهم الله لحفظ كتابه - تمضي أعمار بعضهم في المبالغة في التجويد، والمبالغة في تحقيق الحروف ومخارجها، وقد أحسن أبو شامة حين تبه على ذم هذا المسلك بعقد باب في كتابه "المرشد الوجيز" وعنوانه بقوله: "باب في الإقبال على ما ينفع من علوم القرآن والعمل بها وترك التعمق في تلاوة ألفاظه والغلو بسببها" فقال: "لم يبق لمعظم من طلب القرآن العزيز همة إلا في قوة حفظه وسرعة سرده وتحرير النطق بألفاظه والبحث عن مخارج حروفه والرغبة في حسن الصوت به. وكل ذلك وإن كان حسناً، ولكن فوقه ما هو أهم منه وأتم وأولى وأحرى، وهو فهم معانيه، والتفكير فيه، والعمل بمقتضاه والوقوف عند حدوده، وثمره خشية الله تعالى من حُسن تلاوته"^(٣).

ولا ريب أن تحقيق الثمرة والغاية من مجالس المدارس، لا بد أن يحاط بضوابط وشروط في المتدارسين، حتى لا يقع الخلل والزلل، ومن ثم قد يقع عكس المقصود منها.

(١) البخاري ح (٦)، مسلم ح (٢٣٠٨).

(٢) كلا الروايتين عند البخاري ح (٥٠٢٧، ٥٠٢٨)، وقد وقع في بعض نسخ البخاري (أو علمه)، وينظر في توجيه ذلك: فتح الباري لابن حجر (٧٧/٩).

(٣) المرشد الوجيز (ص: ١٩٣)، وينظر كلام نفيس في هذا المعنى للغزالي في إحياء علوم الدين (١/٢٨٢ - ٢٨٤)، ولاين تيمية في مجموع الفتاوى (٥٠/١٦).

المطلب الرابع : إزالة الإشكالات :

من كمال التدبر أن يبنى على الفهم الصحيح للآية الكريمة، ومن المقرر بدهاء أن التدبر الأتم والأكمل للآية فرع عن الفهم الصحيح لها؛ "لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له، ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به، ولا معرفة من القيل والبيان إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به! فأما قبل ذلك، فمستحيل أمره بتدبره، وهو بمعناه جاهل"^(١)؛ لهذا كان ﷺ يحرص على إزالة أي لبس يعرض للصحب الكرام ﷺ في فهمهم للآيات.

والتأمل في الأحاديث المنقولة عن الصحابة ﷺ في هذا الباب يجدها قليلة، وهذا عائد إلى كمال علمهم، وقوة فهمهم، وصحة مقاصدهم، وكونهم أعلم الأمة بلغة القرآن، فإن اجتماع هذه الأسباب الأربع يعني الوصول إلى الحق في فهم النص، وعلى الضد من ذلك، فغياب واحد من هذه الأربع يؤدي إلى الغلط، يقول ابن تيمية: "فإن الاختلاف تارة ينشأ من: سوء الفهم، ونقص العلم، وتارة من سوء القصد"^(٢)، وقد سلم الله الصحابة ﷺ بتركية الله لهم . من سوء القصد، فبقي نقص العلم، ونقص التصور . الذي عبر عنه ابن تيمية بسوء الفهم .، ومن ثم وردت بعض الإشكالات عندهم في فهم النص القرآني، فسألوا عنه، فأزالها ﷺ^(٣)، ومن ذلك:

(١) ما رواه الشيخان من حديث ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قلنا: يا رسول الله، أين لا يظلم نفسه؟ قال: "ليس

(١) تفسير الطبري (٧٧/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٣١٠/١٦).

(٣) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (١١٧/٤).

كما تقولون: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟ [لقمان: ١٣] (١).

(٢) في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة، عذب» فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يَحْسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فقال: "ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب" (٢).

ولما تأخرت العصور بعد عصر الصحابة ﷺ بدأت تزداد الإشكالات، لأحد الأسباب السالفة، فصارت أسئلة التابعين للصحابة أكثر من أسئلة الصحابة للنبي ﷺ، وأسئلة أتباع التابعين للتابعين أكثر، وهكذا حتى بلغ الأمر منتهاه في القرون المتأخرة (٣)، فتعين على ورثة الأنبياء أن يقوموا بهذه المهمة، خصوصاً حين يفتحهم هذا الميدان من ليس من أهله. وما أكثرهم في عصرنا. ممن يبنون أحكاماً خطيرة بناء على مقدمات خاطئة.

ولقد قام الصحابة ﷺ بهذه المهمة خير قيام، فمن الأمثلة التي طبقها الصحابة مع التابعين في إزالة الإشكالات، قصة عروة مع عائشة رضي الله عنها في فهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَبَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] (٤)، وكذلك ما فهمه بعض

(١) البخاري ح (٣٣٦٠)، مسلم ح (١٢٤).

(٢) البخاري ح (١٠٣)، مسلم ح (٢٨٧٦).

وفي الباب حديث أبي بكر عند أحمد ح (٦٨، ٦٩)، وصححه ابن حبان ح (٢٩١٠)، والحاكم (٧٨/٣).

(٣) ينظر: الصواعق المرسله (٦٥٣/٢).

(٤) البخاري ح (١٦٤٣)، مسلم ح (١٢٧٧).

الناس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] في قصة فتح القسطنطينية^(١)، وغيرها كثير، وهي ليست من شرط بحثنا هذا، لذا أكتفي بالإشارة إليها فحسب.

المطلب الخامس: ثناؤه على الذين يعملون بالقرآن :

العمل بالقرآن هو ثمرة العلم به، وهو أحد معاني التلاوة التي أثنى الله بها على أهل القرآن، وبقية الكتب السماوية: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، قال ابن عباس: "يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه عن مواضعه"^(٢). ومن أدلّ الأحاديث على تقرير هذا المعنى حديثُ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ریح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ریح وطعمها مر»^(٣).

فالقاسم المشترك بين المؤمن والمنافق في الصورة الأولى هي القراءة، لكن الفرق بينهما في العمل، وآفة ذلك عند التأمل تعود إلى فقه مراد الله تعالى بكلامه، كما وبجّهم الله بقوله: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، فالنبي صلى الله عليه وسلم "جعل طيب الطعام دائراً مع العمل، وجعل طيب الرائحة صفة للتلاوة، والمجدي على المرء هو

(١) أبو داود ح (٢٥١٢)، الترمذي ح (٢٩٧٢) — وقال: حسن صحيح غريب — النسائي في "الكبرى" ح (١٠٩٦١، ١٠٩٦٢)، وصححه ابن حبان ح (٤٧١١)، والحاكم في "المستدرک" (٩٤/٢)، وهو كما قالوا.
(٢) تفسير الطبري (٤٨٨/٢).
(٣) البخاري ح (٥٤٢٧)، مسلم ح (٧٩٧). وينظر تعليق نفيس لابن القيم على هذا الحديث في زاد المعاد (٣٢٧/١).

عمله، أما التلاوة وحدها فإنها لا تجدي، فالمنافق يتلو القرآن ولكنه في الدرك الأسفل من النار...، **والعملُ بالقرآن يقتضي فهم معانيه**، وكذلك كان المخاطبون بهذا الحديث، فإن القرآن بلغتهم نزل؛ ولهذا لم يقل في الحديث: "المؤمن الذي يقرأ القرآن ويفهمه ويعمل به"؛ لأن ذكر الفهم لأولئك المخاطبين حشو، تتحاشى عنه البلاغة النبوية^(١)، "وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمر الإيمان، وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر، فيفعلها البر والفاجر، والمؤمن والمنافق"^(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **«يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران»**، وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: **«كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حرقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما»^(٣)**.

فالنبي صلى الله عليه وسلم قيد قراءة القرآن بالعمل به؛ "لأن الذين يقرءون القرآن ينقسمون إلى قسمين:

قسم لا يعمل به، فلا يؤمنون بأخباره، ولا يعملون بأحكامه، هؤلاء يكون القرآن حجة عليهم، وقسم آخر: يؤمنون بأخباره، ويصدقون بها، ويعملون بأحكامه، فهؤلاء يكون القرآن حجة لهم يحاج عنهم يوم القيامة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "القرآن حجة لك أو

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير، لابن باديس (ص: ٢٠٤) باختصار.

(٢) زاد المعاد (١/٣٢٧).

(٣) مسلم ح (٨٠٥).

عليك" وفي هذا دليل على أن أهم شيء في القرآن العمل به، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، أي: يتفهمون معانيها، ويعملون بها، وإنما أحر العمل عن التدبر؛ لأنه لا يمكن العمل بلا تدبر، إذا إن التدبر يحصل به العلم، والعمل فرع عن العلم"^(١).

وفي مقابل مدح العاملين به، ترد نصوص كثيرة في الوعيد على من قصد بتعلم القرآن غير الله، ومن قصد غير الله، قصر في العمل به، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: . في أول من تسعر بهم النار . قال رسول الله ﷺ: "ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار"^(٢).

وخلاصة ما سبق: أن علاقة هذا الثناء والذم بالحث على التدبر تظهر بمدح الذي يفقه معانيه ويعمل به، وذم من يقرؤه دون فقه ولا عمل.

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٤/٦٣٨).

(٢) مسلم ح (١٩٠٥).

المبحث الثاني: الوسائل العملية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحث على التغني به :

لا ريب أن الصوت الحسن "نعمة من الله تعالى، وزيادة في الخلق ومِنَّة، وأحقُّ ما لبست هذه الحلة النفيسة، والموهبة الكريمة: كتابُ الله" (١)، وقد كان النبي ﷺ يشجّع من أوتي من أصحابه حُسْنَ الصوت، كما قال لأبي موسى: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزامرا من مزامير آل داود»، وقد بَوَّب البخاري في صحيحه على هذا الحديث فقال: "باب حُسْنِ الصوت بالقراءة للقرآن" (٢).

ولعظيم أثر حسن الصوت والتغني به في التدبير، جاء الوعيد لمن كان قادراً على تحسين صوته ولم يفعل، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» (٣).

وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ؓ قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يتغن بالقرآن» (٤)، والمعنى: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغن بالقرآن، أي يتلوه بجهر به (٥). والمراد بالقرآن هنا: جميع الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء

(١) "أحكام القرآن" لابن العربي (٥/٤).

(٢) البخاري ح (٥٠٤٨)، مسلم ح (٧٩٣).

(٣) البخاري ح (٧٥٢٧). والأرجح في تفسير التغني - هنا - : هو تحسين الصوت به، والترجيع في قراءته، بحيث لا يخرج إلى لحن أهل الفسق، وتفسيره بالاستغناء مرجوح، وإن كان له وجه في اللغة، فالسياق لا يساعد عليه، بل جاء في بعض ألفاظ هذا الحديث - البخاري ح (٧٥٤٤)، مسلم ح (٧٩٢) - : "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به" مما يقوي رجحان القول الأول. وينظر: ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٥٨/١٠-٢٦١)، فتح الباري لابن حجر (٧٠-٦٩/٩).

(٤) البخاري ح (٥٠٢٣)، مسلم ح (٧٩٢).

(٥) النهاية في غريب الحديث (٣٣/١).

والرسل^(١)، فكلها مقروءة، فعبر عنها بالمصدر، وإلا فالقرآن عند الإطلاق، لا يراد به إلا ما نزل على قلب نبينا محمد ﷺ.

وقد كان النبي ﷺ محققاً لهذه الفضيلة . أعني: تحسين الصوت بالقرآن . ففي الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: "سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿والتين والزيتون﴾ في العشاء، وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة"^(٢)، ومع كون الصوت الحسن هبةً من الله، إلا أن المؤمن يجتهد في تحسين صوته بالتلاوة ما استطاع، فهذا مناط التكليف . وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري: أن أسيد بن حضير رضي الله عنه . وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن . بينما هو ليلةً يقرأ في مربده، إذ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضاً، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقممت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله ﷺ، ... الحديث وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم»^(٣).

والشرع والعقل دالان على أثر ذلك في التدبير؛ فلا غرو أن تواطأت السنة النبوية على الثناء على صاحب الصوت الحسن وتشجيعه، والوعيد لمن قدر على التغيي ولم يفعل^(٤).

(١) يدل لهذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه — عند البخاري ح (٣٤١٧) — عن النبي ﷺ قال: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنَ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِهِ فَيَسْرِعُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَسْرِعَ دَوَابِهِ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»، قال ابن الجوزي في "كشف المشكل" (٥٢٩/٣): "يعني: القراءة لكتابه الزبور" اهـ.

(٢) البخاري ح (٧٦٩)، مسلم ح (٤٦٤).

(٣) البخاري ح (٥٠١٨)، مسلم ح (٧٩٦). وقد ورد وصُفِّه بحُسن الصوت عند النسائي في الكبرى ح (٧٩٦٢)، ولم يرد في الصحيحين.

(٤) وقد ذكر الخطيب البغدادي في "تاريخه" في ترجمة أبي بكر الأدمي (٥٢٦/٢) قصةً طريفةً في أثر حُسن الصوت في الدعوة إلى الله، وإنكار المنكرات.

المطلب الثاني: القراءة بالترتيل :

من جوانب عظمة هذا القرآن، أن الله تعالى تولى بيان كيفية قراءته؛ لعظيم أثرها على تحقيق التدبر، وقد اتفقت جميع الآيات على الأمر بالترتيل، والثناء على من يتلونه حق تلاوته، قال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والملاحظ في آية المزمل أن الأمر بالترتيل جاء التأكيد عليه من جهتين: الأولى: من

جهة الأمر: ﴿وَرَتَّلِ﴾، الثانية: ذكر المصدر ﴿تَرْتِيلاً﴾.

ويلاحظ أيضاً. أن هذا الأمر جاء، مع أنه لم ينزل من القرآن إلا القليل من السور والآيات، لا تتجاوز صفحاتها في المصحف عدد أصابع اليد، مما يدل على عظيم أثر هذه الصفة ومحبة الله لها.

وقد امتثل النبي ﷺ هذا الأمر الإلهي له بالترتيل، ففي صحيح مسلم من حديث

حفصة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سبحة قاعداً، حتى

كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحة قاعداً، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها، حتى

تكون أطول من أطول منها»^(١).

وفي سنن أبي داود من حديث أم سلمة رضي الله عنها لما سئلت عن قراءة النبي ﷺ؟

(١) مسلم ح (٧٣٣).

"فنعنت قراءته: حرفاً حرفاً" (١)، "وإنما كان يفعل ذلك . والله أعلم . لأمر الله له بالترتيل، وأن يقرأه على مكث، وألا يحرك به لسانه ليعجل به، فامتثل أمر ربه تعالى فكان يقرؤه على مهل ليبين لأمته كيف يقرءون، وكيف يمكنهم تدبر القرآن وفهمه" (٢).

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: «قرأ النبي ﷺ عام الفتح في مسير له سورة الفتح على راحلته، فرجع (٣) في قراءته» (٤)، وفي لفظ البخاري: "قراءة لينة يقرأ وهو يُرَجِّع" (٥).

وروى أهل السنن من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها" (٦).

وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . حديثه الطويل في قيام الليل . وفيه: "صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت:

(١) أبو داود ح (١٤٦٦)، والترمذي ح (٢٩٢٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه ابن خزيمة ح (١١٥٨)، وابن حبان ح (٢٦٣٩) - وليس في لفظه نعت القراءة، بل اقتصر على قصة قيام الليل -، والحاكم (٤٥٣/١). وقد أعله بعض العلماء بجهالة يعلى بن مئلك - على وزن جعفر -، وهو الذي سأل أم سلمة، وفي صحيح الترمذي وابن خزيمة له، نوع توثيق ضمني، خاصة وهو في طبقة التابعين، ومثل هؤلاء جهالتهم محتمة عند الأئمة، وحديثهم لا بأس به، بشرط ألا يأتي بما يستغرب.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٧٤/١٠).

(٣) الترجيع هو: ترديد القراءة، ومنه ترجيع الأذان، وقيل: هو تقارب ضروب الحركات في الصوت، كما في "النهاية" (٢٠٢/٢).

(٤) البخاري ح (٤٢٨١)، مسلم ح (٧٩٤).

(٥) البخاري ح (٥٠٤٧).

(٦) سنن أبي داود ح (١٤٦٤)، الترمذي ح (٢٩١٤)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى ح (٨٠٠٢)، وصححه ابن حبان ح (٧٦٦).

يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ..."(١).

وقد فقه هذا المعنى الصحابة رضي الله عنهم، فقد قال ابن مسعود لرجل أخيره أنه قرأ المفصل البارحة! فقال: «هذا كهذا الشعر؟! إنا قد سمعنا القراءة، وإني لأحفظ القرآن التي كان يقرأ بمن النبي صلى الله عليه وسلم، ثماني عشرة سورة من المفصل، وسورتين من آل حم»(٢)، وإنما أنكر ابن مسعود على الرجل قراءة المفصل في ركعة؛ "ليحضه على تدبر القرآن؛ لا أنه لا تجوز قراءة المفصل في ركعة، فقد تجوز قراءة القرآن بغير تدبر"(٣).

ولما سأل أبو حمزة الضبيُّ ابنَ عباس فقال: إني رجل سريع القراءة، وربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين، قال له ابن عباس: "لأن أقرأ سورة واحدة أعجب إلي من أن أفعل مثل الذي تفعل، فإن كنت فاعلاً لا بد، فاقراه قراءة تسمع أذنك ويعيه قلبك"(٤).

وقال ابن أبي مليكة: صحبتُ ابن عباس من المدينة إلى مكة، وكان يصلِّي ركعتين، فإذا نزل قام شطر الليل، ويزتل القرآن يقرأ حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من الشحيح والنحيب، ويقرأ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] (٥).

(١) رواه مسلم ح (٧٧٢).

(٢) البخاري ح (٥٠٤٣)، مسلم ح (٨٢٢)، وفيه قصة أطول.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٩٢/٢).

(٤) مصنف عبدالرزاق (٤٨٩/٢)، والبيهقي في السنن الكبير (٢٠/٣)، وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الفسوي في "المعرفة والتاريخ" (٥٣٤/١)، وسنده لا بأس به، من أجل صالح بن رستم الخزاز، فهو صدوق كثير

الخطأ، كما قال ابن حجر في التقريب (٢٨٦١)، ولكن يحتمل منه هنا في أمثال هذه الآثار.

ثم تلقى علماء التابعين عن الصحابة رضي الله عنهم ، فقد سأل رجل مجاهداً، فقال: رجل قرأ البقرة، وآل عمران في ركعة قيامهما واحد، وسجودهما وركوعهما واحد، وجلسهما واحد أيهما أفضل؟ قال: «الذي قرأ البقرة» قال: ثم قرأ مجاهد: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] قال: على تؤدة^(١).

وقال طاووس في الترتيل: «تليته^(٢) حتى تفقهه»^(٣).

يقول النووي: "قال العلماء: والترتيل مستحب للتدبر ولغيره، قالوا: يستحب الترتيل للعجمي الذي لا يفهم معناه؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب"^(٤).

والمقصود مما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم ربي أصحابه قولاً وعملاً على هذه الصفة الشرعية لتلاوة القرآن؛ لعظيم أثرها في التدبر وغيره، كما ذكر النووي، وسار على دربه أصحابه رضي الله عنهم من بعده، ثم التابعون، عليهم رحمة الله.

(١) أخرجه ابن المبارك في "الزهدي" ح (١٢٨٥)، وابن أبي شيبة في "المصنف" ح (٨٧٣٥)، وسنده صحيح.

(٢) هكذا في المطبوع (تليته)، واستظهر المحقق أن الأقرب أنها (تبيته حتى تفقهه). قلت: ويمكن أن تكون: (تليته) من

التليين، وهو قريبٌ من المكث والترتيل، وهي أقرب إلى صورة الكلمة من (تبيته)، والله أعلم.

(٣) مصنف عبدالرزاق (٤٩٠/٢) وسنده صحيح.

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٩١).

المطلب الثالث: تكرار الآية التي يفتح لها القلب، أو التوقف عندها:

روى أبو ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ بآية حتى أصبح، يرددّها. والآية: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] ^(١).

علق ابن القيم على حديث أبي ذر فقال: "فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه = كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف، يردد أحدهم الآية إلى الصباح" ^(٢).

(١) النسائي ح (١٠٨٤)، ابن ماجه ح (١٣٥٠)، أحمد ح (٣٩٠/٣٥) ح (٢١٤٩٥)، وصححه الحاكم (٣٦٧/١)، وصححه إسناده ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (١٨٧/١)، البوصيري في "المصباح" (١٥٩/١)، وعلق ابن خزيمة (٢٧١/١) صحة الحديث على الرواية للحديث عن أبي ذر: جسر بنت دجاجة، فإنها تابعة — على الراجح ولم تثبت صحبتها — سمعت أبا ذر، وتكلم فيها البخاري وغيره، وقد اختلف عليها في سند هذا الحديث، مع إعلال البزار له بتفردا بهذا الحديث عن أبي ذر.

ومن أعدل الأقوال فيها - إن شاء الله - قول الدراقطني: "يعتبر بحديثها إلا أن يحدث عنها من يُثرك"، والرواي عنها هنا ليس متروك الحديث، بل توبع كما قال البيهقي في السنن. ويحمل كلام البخاري على ما تفردت به من بعض الأحاديث التي لا يهتمها مثلها في الأحكام، كحديث: "إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب".

فالإسناد حسن إن شاء الله، ومما يستأنس به: تخريج النسائي له، وعدم إعلاله — وشرطه في الرواة هو الأقوى من بين أصحاب السنن. والله أعلم.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٨٩/٨)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥١/٢)، مسند أحمد (٣٩٠/٣٥) ح (٢١٤٩٥)، التاريخ الكبير للبخاري (٦٧/٢)، الثقات للعجلي (ص: ٥١٨)، مسند البزار (٤٥١/٩)، سؤالات البرقاني للدارقطني (ص: ٢٠)، السنن الكبرى للبيهقي (٢٠/٣).

وإنما أطلت في بحثه قليلاً، لأنه العمدة في الباب، فلم أقف على حديث مرفوع في الباب غيره، يصح بمثله هذا التكرار.

(٢) مفتاح دار السعادة (١٨٧/١).

ومما يدخل ضمناً تحت هذا المعنى: حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه. الذي سبق قريباً . وفيه: "يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ..."^(١).

ومن شواهد ما ذكره ابن القيم عن السلف: ما رواه ابن المبارك في "الزهد" عن طاووس: قال لي رجل من أهل مكة: "هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيت ذات ليلة حتى أصبح، أو كرب أن يصبح، يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويكي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْيَاهُمْ وَمَا تَنْهَاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]"^(٢).

وروى عبدالرزاق في "مصنّفه" من طريق سعيد بن عبيد قال: رأيت سعيد بن جبير . وهو يؤمهم في رمضان . يردد هذه الآية: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١] ، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧]، يرددها مرتين أو ثلاثاً^(٣).

وعقد أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه "الفضائل" باباً في: "ما يستحب لقارئ القرآن من تكرار الآية وتردادها"^(٤)، وذكر فيه جملة من الآثار في هذا الباب. **والمقصود** أنه إذا كان التكرار أسلوباً تربوياً وتعليمياً في ترسيخ المعلومة، فإن تطبيقه مع كتاب الله تعالى يورث أنواعاً من العلم القلبي، والنظري، جراء إعمال العقل والفكر في أي الكتاب العزيز، وهذا شيء مشاهد ومجرب.

(١) رواه مسلم ح (٧٧٢).

(٢) الزهد (٣١/١)، وسنده إلى طاووس صحيح.

(٣) مصنف عبدالرزاق (٤٩٢/٢)، وسنده صحيح.

(٤) فضائل القرآن (ص: ١٤٤).

المطلب الرابع: الاستماع للقرآن من الآخرين:

تنوعت الإشارة في القرآن الكريم إلى أثر هذا النوع في حضور القلب، والتفاعل مع الآيات الكريمة، مما يخفي أثره ويظهر.

أما الخفي: فهو ما ذكره الله عن أعمال القلوب التي تحصل جراء سماع الوحي والتأثر به، وأما الظاهر: ففيما يحصل من خروار على الأذقان، وسجود على الجباه، مقروناً بالبكاء أحياناً، كقوله تعالى . عن الأنبياء :: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرِّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مریم: ۵۸]، وكقوله عن أولي العلم . إذا سمعوا القرآن :: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (۱۰۷) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (۱۰۸) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَنْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ۱۰۷ - ۱۰۹]، وفي الآية التي قصت حال القسيسين مع القرآن: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ۸۳]، وكل هذه الآيات تنص على حالة السماع للوحي السماوي من الغير: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا﴾، مما يؤكد عظيم أثر هذا الاستماع في تحقيق مراد الله تعالى من التفكير والتدبير.

وفيما يخص التطبيق النبوي لهذا المعنى، فقد روى الشيخان عن ابن مسعود س: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي» قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمع من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ۴۱] «حسبك الآن»، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان^(۱).

(۱) رواه البخاري ح (۵۰۵۰)، ومسلم ح (۸۰۰).

وللصحابة رضي الله عنهم. الذين تربوا في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم نصيب من هذا، ومن ذلك:
ما روي أن عقبة بن عامر . وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن . قال له عمر:
اعرض عليّ سورة براءة! فقرأها عليه، فبكى عمر بكاءً شديداً، ثم قال: «ما كنت أظن
أنها أنزلت»^(١)!

وقال أبو سلمة ابن عبدالرحمن: كان عمر يقول لأبي موسى: يا أبا موسى ذكرنا
ربنا، فيقرأ عنده أبو موسى . وهو جالس في مجلسه . ويتلاحن^(٢).

وهذا شيء معلومٌ يجده الإنسان من نفسه، فإن بعض القراء ممن آتاهم الله صوتاً
حسناً، يقع . في بعض الأحيان . التأثر منهم، والتأثير في النفس أكثر مما يجده الإنسان
من قراءته بنفسه، خاصة إذا كان القارئ ممن يقرأ القراءة المفسرة، التي يشعر السامع معها
أن القارئ يتدبر ويعي معاني ما يقرأ، "والقلوب تخشع بالصوت الحسن، وما تتأثر به
القلوب في التقوى، فهو أعظم في الأجر، وأقرب إلى لين القلوب، وذهاب القسوة
منها"^(٣).

وأجد من المناسب دِكْرُ بعض ما وقع لابن العربي من مواقف لا تخلو من فائدة،
حيث يقول:

(١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ٨٢)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٠/٤٩٩)، وفي سنده لئب من أجل حيي بن
عبدالله المعافري، فهو صدوقٌ بهم، وظاهر القصة أنها مرسلّة، فإن أبا عبدالرحمن الجبلي لم يدرك عمرَ سن، وليس في الرواية ما
يؤحي بسماعه لها من عقبة بن عامر سن . والله أعلم ..

ومما يستأنس به احتجاج الذهبي بها، والذي علّق عليها بقوله . في تاريخ الإسلام (٢/٥٢٤). قائلاً: "معناه ما كأي كنت
سمعتها؛ لحسن ما حثّرها عقبة بتلاوته، أو يكون الضمير في " نزلت " عائداً إلى آيات من السورة استغريها عمر، والله أعلم ."

(٢) رواه أبو عوانة في مستخرجه (٢/٤٧٥)، وفي سنده إرسال؛ لأن أبا سلمة لم يسمع من عمر . ومعنى: يتلاحن، أي: يقرأ
بقراءة ملخنة.

(٣) أحكام القرآن (٥/٤) باختصار.

"سمعت تاج القراء ابن لفته بجامع عمرو يقرأ: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء: ٧٩]، فكأنني ما سمعت الآية قط.

وسمعت بمدينة السلام شيخ القراء البصريين يقرأ. في دار بها الملك: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ
الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، فكأنني ما سمعتها قط حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾
[البروج: ١٦] فكأن الإيوان قد سقط علينا.

وكان ابن الكازروني^(١) يأوي إلى المسجد الأقصى، ثم تمتعنا به ثلاث سنوات، ولقد
كان يقرأ في مهد عيسى فيسمع من الطور، فلا يقدرُ أحدٌ أن يصنع شيئاً طولَ قراءته
إلا الاستماع إليه.

وكان صاحب مصر. الملقب بالأفضل^(٢). قد دخلها في المحرم سنة (٤٩٢ هـ) وحوّلها
عن أيدي العباسية، وهو حنق عليها وعلى أهلها بحصاره لهم وقتالهم له، فلما صار فيها،
وتداني بالمسجد الأقصى منها، وصلى ركعتين تصدى له ابن الكازروني، وقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ
مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ
تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فما ملك نفسه حين
سمعه أن قال للناس على عظم ذنبهم عنده، وكثرة حقه عليهم: ﴿لَا تُقْرِبْ عَلَيْنَا يَوْمَ
يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]^(٣).

(١) لم أفق على ترجمته.

(٢) هو أحمد بن بدر الجمالي، أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل، أرمني الأصل. داهية، فحل الرأي، شهيم،
جيد السياسة. كانت ولايته ثمانية وعشرين سنة، ينظر في ترجمته: الأعلام للزركلي (١٠٣/١).

(٣) أحكام القرآن (٤/٤-٥).

المطلب الخامس: تدبر الآيات التي ختمت بالاستفهام:

ورد في السنة جملة من الأحاديث والآثار التي يقع فيها تفاعل بالرد على سؤال يرد في السورة، وغالباً ما يكون في ختامها، مما يدل على تحقيق مقصد من مقاصد التدبر، وهو التفاعل مع الآيات الكريمة، والتجاوب معها، ومن ذلك:

١. ما رواه أبو داود من طريق إسماعيل بن أمية قال: سمعت أعرابياً يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ منكم والتين والزيتون، فانتهي إلى آخرها: ﴿الَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: لا أقسم بيوم القيامة، فانتهي إلى ﴿الَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، فليقل: بلى، ومن قرأ: والمرسلات، فبلغ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]، فليقل: آمنا بالله"، قال إسماعيل: ذهبت أعيد على الرجل الأعرابي، وأنظر لعله، فقال: «يا ابن أخي، أتظن أني لم أحفظه، لقد حججت ستين حجة، ما منها حجة إلا وأنا أعرف البعير الذي حججت عليه»^(١).

(١) أبو داود ح (٨٨٧)، والترمذي ح (٣٣٤٧)، وأحمد ح (٧٣٩١)، وصححه الحاكم (٥٥٤/٢). ووقعت تسمية الأعرابي عند الحاكم: أبا اليسع، ولكن هنا لا يصح، لأن الذي سمّاه راوٍ متروك اسمه: يزيد بن عياض، وسمي: محمد بن عبدالرحمن بن سعد، عند أبي بكر الشافعي في "الغيلانيات" ح (٧١٨)، وفي سننه متروك. ورواه ابن أبي حاتم في العلل رقم (١٧٦٣) من طريق ابن علية، عن إسماعيل بن جعفر، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبي هريرة موقوفاً. وعبدالرحمن بن القاسم لم يسمع من أبي هريرة، وهذا الوجه الموقوف رجحه أبو زرعة، لكن قال ابن المديني: إن ابن علية لم يحفظه. وفي الحديث اختلاف أوسع من هنا، ينظر: علال الدارقطني (٢٤٨/١١)، ميزان الاعتدال (٥٨٩/٤).

٢ - وروى أبو داود من حديث موسى بن أبي عائشة، قال: كان رجل يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، قال: «سبحانك»، فبكى، فسألوه عن ذلك، فقال: «سمعت من رسول الله ﷺ»^(١).

٣ - روى الحاكم من حديث حجر بن قيس المدري، قال: بت عند أمير المؤمنين علي عليه السلام، فسمعتة - وهو يصلي من الليل - يقرأ فمر بهذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (٥٨) ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩] قال: بل أنت يا رب، ثلاثاً ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤]، قال: بل أنت يا رب، بل أنت يا رب، بل أنت يا رب، ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨) ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨، ٦٩]، قال: بل أنت يا رب ثلاثاً، ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (٧١) ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢] قال: بل أنت يا رب، ثلاثاً^(٢).

(١) أبو داود ح (٨٨٤)، وفي سنده انقطاع، فموسى لم يدرك أحداً من الصحابة، ويوضح ذلك رواية إسرائيل بن يونس عن موسى عند عبدالرزاق في "التفسير" (٣٧٠/٣): عن موسى بن أبي عائشة، أن رجلاً حدثهم قال: أمهم رجل فقراً.. الحديث، ولهذا قال ابن حجر في "نتائج الأفكار" (٥٠/٢): "وموسى بن أبي عائشة ثقة مخج له في الصحيح، لكنه وصف بكنة الإرسال".

(٢) أخرجه الحاكم (٥١٨/٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ومن طريقه البيهقي في "السنن الكبير" (٤٤١/٢).

ورواه عبدالرزاق في "المصنف" (٤٥٢/٢) من طريق شداد بن جابان، عن حجر المدري، من فعله، وليس من فعل علي بن، ولا أدري ممن هذا الاختلاف، فإن الحاكم رواه في "مستدرکه" من طريق أحمد بن حنبل، ثنا عبدالرزاق، أنبأ معمر، عن شداد

٤ . روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا قرأت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فقل: سبحان ربي الأعلى، وإذا قرأت: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠] فقل: سبحانك! ويلي^(١).

ومع ما في المرفوع من هذا الباب من مقالٍ، إلا أن الموقوفات جيدة الأسانيد، ومثلها يقوى الاستدلال به على ما نحن بصدده، وهو التفاعل مع الآيات الكريمة التي تختتم ببعض الأسئلة، التي يدل التفاعل معها على تدبر القارئ لكلام الله تعالى، وحضور قلبه مع تلك الأسئلة.

بن جابان الصنعاني، عن حجر بن قيس المدري، قال: بت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب... الحديث، ويحتمل أنه من شهاد بن جابان، فإنه ليس بالمشهور، وقد قال عنه ابن قطلوبغا: صدوق، كما في "التقات ممن لم يقع في الكتب الستة" (٢٢٣/٥)، والله أعلم.

(١) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٤١٨/٣)، وابن الضريس في "فضائل القرآن" ح (١٣)، والطبري في تفسيره (٣١٠/٢٤)، للمستغفري في "فضائل القرآن" ح (٧١-٧٣)، وضححه ابن حجر في "تتائج الأفكار" (٤٨/٢) موقوفاً، وأشار إلى ذلك أبو داود في السنن ح (٨٨٣).

الفصل الثاني: معالم الهدي النبوي العامة في التربية على التدبر .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: تخلّقه العمليّ بالقرآن :

لا شك أن للقدوة أثراً بالغاً على السامع لسير القدوات، فكيف بأثرها على المتلقي

المباشر؟!

ولما كان للقدوة الأثر العظيم، فقد أكثر القرآن من ذكر القصص والأخبار للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وخصّ الخليل بذلك فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [المتحنة: ٤].

وفيما يخص هذه الأمة، فقد أمر الله المؤمنين بالتأسي بخير قدوة وأسوة، محمد ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فقد جمع الله له أنواعاً من الكمالات البشرية لم تجتمع لغيره، ومن ذلك: تخلّقه بالقرآن الكريم، في أحواله كلها: فرحاً وحرزناً، حرباً وسلاماً، في السراء والضراء، مع الصديق والبعيد، مما جعل ألصق الناس به من أهل بيته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول للسائل الذي سألها عن خلقه ﷺ: «ألست تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»^(١).

ومن تأمل السيرة النبوية، وجد أثر هذا التخلق بلا عناء، وما عقّوه عن آذوه يوم الفتح، وكرمه وجوده المتناهي . حين يعطي سائلاً غنماً بين جبلين .، ولا صبره على الأذى القولي والفعلي الذي يسمعه ويصيبه = إلا نماذج تطبيقية لتخلقه بالقرآن .

(١) مسلم ح (٧٤٦).

ولعلي أشير في هذا المقام إلى نموذجين يوضحان هذا المعنى بشكل جليّ، وهما:

الأول: قول عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن^(١)، أي: يعمل به.

الثاني: يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ما منعتني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»^(٢)!

والوفاء بالعهد مع وروده في مواضع كثيرة، إلا أنه أيضاً جاء التأكيد عليه في سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر، وفيها يقول الله عن أولئك الكفار: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِذَا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدُوا مِنْهُمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَبْذُؤْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٦-٥٨].

والسؤال هنا: من الذي سيُشعرُ قريشاً أنهم وفوا بذلك؟ والحال حرب، والرجال قليل؟ ودولة الإسلام في بداية تأسيسها؟ والمهاجرون مظلومون في إخراجهم من ديارهم وأموالهم؟ لكنها أخلاق القرآن، التي كان ﷺ يتمثلها، ويعيشها واقعاً حياً، يؤثّر في الكفار قبل المسلمين؛ ولهذا كانت هذه المشاهد الحيّة تختصر مسافات كبيرة في التربية بالقرآن الكريم، وترجم معانيه بالقول والفعل، فصلوات الله وسلامه على من كتمه ربه، وأدبه فأحسن تأديبه.

(١) البخاري ح (٨١٧)، ح مسلم (٤٨٤).

(٢) رواه مسلم ح (١٧٨٧).

المبحث الثاني: رؤية آثار التدبر عليه ﷺ:

هذا المبحث وثيق الصلة بالذي قبله، إلا أن ثمة ما يختص بالحديث عن الآثار التي تشاهد من انفعاله مع الآيات وتأثرها بها المباشر، ومن المعلوم أن التأثير ليس هو التدبر، بل هو فرعٌ عنه في أحيانٍ كثيرة^(١).

وقد غني القرآن بذكر هذا الأثر في مواضع منه، كقوله تعالى . عن الأنبياء: ﴿إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ حَزُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، وكقوله عن أولي العلم إذا سمعوا القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]، وفي الآية التي قصت حال القسيسين مع القرآن: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

وهذا كله يؤكد أهمية العناية بالآثر الذي يظهر على القارئ لكتاب الله، ولعمري إن الأثر لدليل على تدبر وتأثر بالمتلو!

وفيما يخص النبي ﷺ، فقد حفظ لنا الصحابة ﷺ نماذج من ذلكم التأثير والتفاعل، أكتفي بذكر ثلاثة منها للتدليل على ذلك، فمنها:

(١) ما رواه مطرف بن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء ﷺ^(٢).

(١) وإنما قيدهم بأحيان كثيرة؛ لأن التأثير قد يكون بالتدبر وقد يكون بغيره، كأن يقع التأثير بسبب روعة القرآن ونظمه، وقد يكون بسبب حال الشخص في تلك اللحظة، ينظر: "مفهوم التفسير والتأويل" للطيار (ص: ٢٠٤).
(٢) رواه أبو داود، ح (٩٠٤) وأحمد في المسند ح (١٦٣١٢)، وصححه ابن خزيمة ح (٩٠٠)، وابن حبان ح (٦٦٥)، والحاكم (٣٩٦/١). والأزيز: هو غليان جوفه بالبكاء، ينظر: "غريب الحديث" لأبي عبيد (٢٢٢/١).

قال ابن بطلال: "وهذه كانت سيرة الأنبياء والصالحين، كأن خوف الله أُشرب قلوبهم، واستولى عليهم الوجل حتى كأنهم عاينوا الحساب" (١).

(٢) روى مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حديثه الطويل في قيام الليل. وفيه: "صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ..." (٢).

(٣) روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأ علي» قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمع من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١] «حسبك الآن»، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان (٣).

قال بعض العلماء: "وإنما بكى صلى الله عليه وسلم عند هذا؛ لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن" (٤).

لقد كنتُ أتساءل. وأنا أقرأ هذا الحديث. كم مرة قرأ ابن مسعود هذه الآية؟ وهل خطر بباله هذا المعنى الذي دمعت، بل سألتُ لأجله دموع النبي صلى الله عليه وسلم؟ وهو استشعاره

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطلال (١٠ / ١٨٧).

(٢) رواه مسلم ح (٧٧٢).

(٣) رواه البخاري ح (٥٠٥٠)، ومسلم ح (٨٠٠).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطلال (١٠ / ٢٨١).

عليه الصلاة والسلام هببة الموقف؟ وشهادته على أمته؟ يبدو أن هذا المعنى لم يظهر لابن مسعود كما بدا له تلك الساعة.

إن القارئ لحكاية هؤلاء الصحب الكرام لهذه المواقف، ليشعر أنها كانت ولا زالت محفورة في الذاكرة، وهذا شيء يجده أحدنا إذا رأى شيئاً من هذه الأحوال تقع من كبار علمائنا كيف يبقى أثرها على النفس، وإن طالت السنين، فكيف إذا كان هذا يقع من النبي ﷺ؟.

إن هذا التجاوب مع آي القرآن، هو صورة تطبيقية منه صلى الله عليه وسلم لتدبر القرآن، وهو رسالة عملية منه ﷺ تبين كيف يتدبر المؤمن هذا القرآن، بحيث يكون على الحال التي أشار لها ابن القيم حين قال: "إذا أردت الانتفاع بالقرآن: فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به مَنْ تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله"^(١)، فإذا بلغ العبد هذه الحال، تلقى الناس منه التدبر عملياً، كما كان يتلقونه منه صلى الله عليه وسلم وهم يرون أثر التدبر على جوارحه الشريفة.

(١) الفوائد (ص: ٣).

المبحث الثالث: تربيته للصحابة على مبدأ: "الإيمان قبل القرآن":

والمراد بهذا المبدأ: غرسُ معاني الإيمان، وتعظيمُ أمر الله ورسوله في القلوب، ومحبتهما، وتقديم ذلك كله على النفس والوالد والولد والناس أجمعين، وجعل ذلك من شروط صحة الإيمان، في تنويع عجيب في الوسائل التي تحقيق هذا الأصل المهم.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: "لقد عشنا برهة من دهرٍ، وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها، وأمراها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أتم اليوم القرآن، ثم لقد رأيتُ اليوم رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ولا يدري ما أمره، ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينثره نثر الدقل"^(١)(٢).

ويقول جندب بن عبد الله رضي الله عنه: كنا مع النبي ﷺ . ونحن فتيان حزاورة^(٣).

(١) الدقل: هو ردى التمر ويابس، كما في النهاية في غريب الحديث والأثر (١٢٧/٢).

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح المشكل (٨٥/٤) واللفظ له، وابن منده في الإيمان (٣٦٩/١). وقال: "هذا إسناد صحيح على رسم مسلم"، والحاكم في "المستدرک" (٩١/١) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه"، والحديث كما قال ابن منده لا كما قال الحاكم، فهو على شرط مسلم، من أجل القاسم بن عوف الشيباني . الراوي عن ابن عمر . فهو من رجال مسلم فحسب، وإسناد الحديث حسنٌ، من أجل عوفٍ هذا، فإنه صدوق، كما يتبين من ترجمته في تهذيب الكمال (٤٠٠/٢٣).

ومن بدائع تعليقات الطحاوي على هذا الحديث، أنه جعل تطبيق النبي ج لهذا المنهج في التربية، وبيان كيفية تعليم الناس القرآن، وطريقة أخذهم له، من التفسير العملي منه ج للنصيحة لكتاب الله تعالى. ينظر: شرح مشكل الآثار (٨٥/٤)

(٣) حزاورة: جمع حَزْوَر، وحزْوَر: هو الذي قارب البلوغ، والناء لتأنيث الجمع، ينظر: "النهاية" (٣٨٠/١).

فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً^(١).

ومما يوضح شيئاً من تفاصيل هذا المنهج النبوي، الذي تلقاه الصحب الكرام عن النبي ﷺ، ونقله الصحابة إلى التابعين، ما رواه أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ قال: إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبرونا: أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم ليشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم بل لا يجاوز هاهنا ووضع يده على الحلق^(٢). فمجموع هذه الآثار يبين المنهج النبوي الذي سار عليه ﷺ في غرس هذا المبدأ، وكيف أخرج ذلك الجيل العظيم - جيل الصحابة - مع أن أكثرهم لم يكن حافظاً للقرآن كله، بل الحفاظ له هم الأقل، لكنهم تلقوا حقائق القرآن، وفهموا مقاصديه ومعانيه، فسرى هذا في عباداتهم، وسلوكهم، ومعاملاتهم.

ومن تأمل في قصة إراقة الخمر، وفي قصة أبي طلحة حين نزل قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] وتصدقه بيستانه، وقصة ثابت بن قيس حين نزل صدر سورة الحجرات، وقصة كعب بن

(١) ابن ماجه ح (٦١)، وابن ابن منده في الإيمان (٣٧٠/١)، والبيهقي في السنن (١٧١/٣) من طريق حماد ابن نجيح، عن أبي عمران الجوني، عن جندب، به. وحماد هذا، وإن لم يكن كثير الرواية إلا أن كبار الأئمة وثقوه، كالإمام أحمد وابن معين، وأبو حاتم، وغيرهم، كما يتبين من ترجمته في "تهذيب الكمال" (٢٨٦/٧): ولهذا قال ابن منده. عقب إخراج الحديث: «البخاري استشهد بحماد هذا، وهو صالح»، وقال البوصيري في "مصباح الزجاجة" (١٢/١): "إسناد صحيح، رجاله ثقات". (٢) رواه ابن سعد في "الطبقات" (١٧٢/٦)، والطحاوي في شرح المشكل (٨٤/٤)، وسنده جيد، وهو من رواية حماد بن زيد عن عطاء بن السائب. وهو ممن احتلط، وقد نصّ النسائي وغيره على أن رواية حماد عنه جيدة. ينظر: سير أعلام النبلاء (١١٣/٦).

مالك حين أُمرَ بمفارقة زوجته، فقال: أطلقها أم ألحقها بأهلها؟ وقصة نساء الأنصار حين نزلت آية الحجاب؟ وغيرها كثير، إلا أكبر شاهد على أثر هذه التربية النبوية العظيمة. لذا، فإنني أتمنى أن يعود تطبيق هذا المنهج - "الإيمان قبل القرآن" - في حلقات مساجدنا، ولئن كان يصعب تحويل الحلقات كلها إلى هذا، فلا أقلّ من تأسيس حلقة في كلّ مجتمع تتبنى ذلك، وهذا يسبقه تهيئة المدرسين الذين يقومون على هذه الحلقة، إذ لا بد أن يكونوا ممن يتحلون بخلق القرآن، وعلى قدر جيد من التحصيل الشرعي، خاصة في القرآن وعلومه، وأن يكونوا ممن عرفوا بذلك، فالتلقي هنا ليس مجرد تلقين، بل نقل للمعرفة والسلوك.

إن كثيراً من طلاب الحلقات لا يتهيأ له الاستمرار حتى يحفظ - وهذا شيء طبيعي - فلتبق معه التربية الإيمانية، والهدايات القرآنية، وإن لم يكمل حفظ القرآن، إذ المقصد الأكبر إصلاح القلب والسلوك ما أمكن، وإن لم يتيسر الحفظ، فالحفظ فضل، يؤتيه الله من يشاء، وعلى مدار القرون لم يكن الحفاظ إلا عدداً قليلاً في الناس.

الخاتمة

بعد هذا التطواف المختصر في رياض السنة، التي حاولت فيها تلمس معالم المهدي النبوي في تربية الصحابة على التدبير، فإني أسجل ملخص ما سبق، مع بعض التوصيات فيما يلي:

أولاً: أن التدبير من أعظم مقاصد التنزيل، وقد حرص النبي ﷺ على تعريف أمته . وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم . معاني القرآن أعظم من حرصه على تعريفهم حروفه .
ثانياً: أن حياته ﷺ العملية، كانت بمثابة التفسير الحي والعملي، والتدبير التطبيقي لمعاني القرآن .

ثالثاً: أنه صلى الله عليه وسلم سلك في سبيل تربية أصحابه على التدبير عدة وسائل علمية وعملية، ظهر أثرها عليهم رضي الله عنهم، كما ظهرت هذه التربية في نقل الصحابة لها إلى من تلقى عنهم من التابعين رحمهم الله .

رابعاً: يلاحظ أنه ورد عن الصحابة صور من التربية العملية على التدبير في بعض المواضع . كإجابة الأسئلة القرآنية، وترديد الآيات . أكثر مما ورد في المرفوع، وهو يدل على أن بعض الصور فهم منها الصحابة عدم التوقيف على ذات الصور المروية في المرفوعات، كأثر علي في إجابة أسئلة آخر سورة الواقعة، وهي مسألة تحتاج لمزيد بحث وتحجير .

خامساً: أختتم بتوصيتين أراهما مهمة لتكميل جهود هذا المنتقى المبارك:

الأولى: فواقع حلقات ودور تحفيظ القرآن، يفتقد في كثير من الأحوال أبرز صور التربية النبوية بالقرآن، ومنها ما ألحْتُ إليه في مطلب: "التربية بالإيمان قبل القرآن"، وكذلك المنهج الذي سلكه الصحابة في تعليم القرآن عشر آيات، عشر آيات، وأنه ينبغي أن يكون هناك حلقٌ تعني بهذا المسلك النبوي، لتتربى أجيال الأمة بمعاني القرآن، أكثر من مجرد حفظ حروفه .

الثانية : عقد ندوات أو ملتقيات كهذا الملقى المبارك؛ لإبراز المنهج النبوي، والمنهج الذي سلكه الصحابة ومن تبعهم، في تربية من تحت أيديهم على القرآن، قولاً وعملاً وسلوكاً، وتتأكد العناية بإبراز جهود العلماء عبر القرون، كون تجاربهم تمثل ثروة مهمة في التعامل مع المتغيرات التي مرّت بها الأمة الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين إلى يومنا هذا، وكيف ربّوا تلك الأجيال بهدي القرآن؛ ليستفيد منها العلماء، والمربون، ومدرسو خلق تحفيظ القرآن من الرجال والنساء، وبالله التوفيق.

فهرس المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن لابن العربي، ت: علي البجاوي، ١٣٩٤هـ، دار الفكر، بيروت.
٢. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
٣. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، إشراف: بكر أبو زيد، الأولى، ١٤٢٦هـ، دار عالم الفوائد، مكة.
٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، ت: محمد عبدالسلام إبراهيم، الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٦. الأعلام، للزركلي، الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.
٧. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، ت: د. يحيى إسماعيل، الأولى ١٤١٩هـ، دار الوفاء، مصر.
٨. الإيمان لأبي عبدالله ابن منده، ت: د. علي الفقيهي، الثانية، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
٩. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، ١٤٢٠هـ، دار الفكر - بيروت.
١٠. تاج العروس، للزبيدي، لمجموعة من المحققين، دار الهداية.
١١. تاريخ الإسلام، للذهبي، ت: عمر تدمري، العشرون، ١٤١٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٢. تاريخ الثقات، للعجلي، بترتيب الهيثمي، ت: د. عبدالمعطي قلعجي، الأولى - ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٣. التاريخ الكبير، للإمام البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي . القاهرة، دار الفكر ، بيروت .
١٥. تاريخ دمشق، لابن عساكر، ت: عمرو العمروي، الأولى، ١٤١٥هـ، دار الفكر - بيروت.
١٦. التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ت: محمد الحجار، الثالثة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، دار ابن حزم، بيروت.
١٧. التحرير والتنوير، لابن عاشور، الأولى، ١٤٢٠هـ، مؤسسة التاريخ ، تونس.
١٨. تفسير البغوي، ت: محمد النمر وآخرون، الرابعة، ١٤١٧ هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض.
١٩. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) ت: محمد علي شاهين، الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٠. تفسير عبدالرزاق، ت: د.محمود محمد عبده، الأولى، سنة ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢١. تقريب التهذيب، لابن حجر، ت: محمد عوامة، الأولى ، ١٤٠٦هـ، دار الرشيد ، سوريا.
٢٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين المزي، ت: د.بشار عواد معروف، السادسة - ١٤١٥ هـ، الرسالة ، بيروت.
٢٣. الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، لابن قطلوبغا، ت: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الأولى، ١٤٣٢هـ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن.
٢٤. جامع البيان في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني، الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م جامعة الشارقة.

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، الأولى، ١٤٢٢هـ، دار هجر، مصر.
٢٦. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب، تحقيق شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، الأولى، ١٤١١ هـ، الرسالة، بيروت.
٢٧. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، مطبعة المدني، القاهرة.
٢٨. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بدون بيانات أخرى.
٢٩. الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا، ت: محمد خير يوسف، الثالثة، ١٤١٩هـ، دار ابن حزم، بيروت.
٣٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ت: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، السابعة والعشرون، ١٤٢٥هـ، الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية بالكويت.
٣١. الزهد لابن المبارك، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٢. سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البابي الحلبي.
٣٣. سنن أبي داود، ت: محمد عوامة، الأولى، ١٤١٩، دار القبلة - جدة.
٣٤. سنن الترمذي المطبوع باسم الجامع الكبير، للترمذي، ت: د. بشار عواد معروف، ثانية، ١٩٩٨ م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
٣٥. السنن الكبرى، للنسائي، ت: حسن شليبي، وإشراف شعيب الأرنؤوط، الأولى، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة.
٣٦. السنن الكبرى للبيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، الثالثة، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٧. سؤالات البرقاني للدارقطني رواية الكرجي عنه، ت: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، كتب خانة جميلي - لاهور، باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٨. سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين، السابعة، ١٤١٠ هـ، الرسالة، بيروت.
٣٩. شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، دار الوطن، الرياض.
٤٠. شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الثانية- ١٤٢٣ هـ.
٤١. شرح مشكل الآثار، ت: شعيب الأرنؤوط، الأولى، ١٤٠٥ هـ، الرسالة، بيروت.
٤٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفرسى تحقيق شعيب الأرنؤوط، ثانية، ١٤١٤ هـ، الرسالة، بيروت.
٤٣. صحيح ابن خزيمة، ت: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٤. صحيح البخاري، ت: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، الأولى، ١٤٠٠ هـ، المكتبة السلفية - القاهرة.
٤٥. صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية - اسطنبول.
٤٦. الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطله، ت: علي الدخيل الله، الأولى، ١٤٠٨ هـ، دار العاصمة، الرياض.
٤٧. الطبقات الكبرى لابن سعد، ت: إحسان عباس، الأولى، ١٩٦٨ م، دار صادر، بيروت.
٤٨. العلل، للدارقطني، ت: محفوظ الرحمن زين الله، الأولى، طيبة - الرياض.
٤٩. العلل، لابن أبي حاتم، ت: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/سعد بن عبد الله الحميد و د/خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، مطابع الحميضي بالرياض.

٥٠. غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام، الأولى-١٣٩٦هـ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند.
٥١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
٥٢. الفروق اللغوية للعسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٥٣. فضائل القرآن لابن الضريس، ت: غزوة بدير، الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، دار الفكر، دمشق.
٥٤. فضائل القرآن للمستغفري، ت: أحمد بن فارس السلوم، الأولى، ٢٠٠٨ م، دار ابن حزم
٥٥. فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ت: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، دار ابن كثير (دمشق - بيروت).
٥٦. الفوائد، لابن القيم، الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، دار الكتب العلمية - بيروت. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، أولى - ١٤١٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٧. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ت: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.
٥٨. مجالس التذكير من حديث البشير النذير لابن باديس، الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية.
٥٩. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن ابن قاسم، وابنه محمد [بدون بيانات].

٦٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ت: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الأولى - ١٤٢٢ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٦١. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ت: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤٢١ هـ.
٦٢. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي، ت: طيار قولاج، ١٣٩٥ هـ، بيروت.
٦٣. مستخرج أبي عوانة، ت: أيمن بن عارف الدمشقي، الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، دار المعرفة - بيروت.
٦٤. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، دار المعرفة، بيروت.
٦٥. مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط وجماعة، الأولى - ١٤١٣ هـ، الرسالة، بيروت.
٦٦. مسند البزار، حققه محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، الأولى (من ١٩٨٨) وانتهت (٢٠٠٩ م)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.
٦٧. مصباح الزجاجاة في زوائد سنن ابن ماجه، للبوصيري، تحقيق كمال الحوت، الأولى - ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الكتب الثقافية.
٦٨. المصنف، لعبدالرزاق الصنعائي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. المجلس العلمي.
٦٩. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، أولى - ١٤١٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٠. المعرفة والتاريخ، للفسوي، ت: أكرم العمري، الثانية، ١٤٠١ هـ، الرسالة - بيروت.
٧١. مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٢. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د.مسعد الطيار، الأولى، ١٤٢٣هـ، ابن الجوزي، السعودية.
٧٣. مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت.
٧٤. ميزان الاعتدال، ت: علي محمد البجاوي، الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
٧٥. نتائج الأفكار، لابن حجر، ت: حمدي عبدالمجيد السلفي، الثانية ١٤٢٩ هـ، دار ابن كثير، بيروت.
٧٦. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ت: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت.